الطافش

مجموعة قصصية

حسن الجوخ

سندباد للنشر و الإعلام

الطافــــش

حسن الجوخ

مؤسسة سندباد للنشر والإعلام

مؤسسة ثقافية تطرح مشروعاً ثقافياً جاداً على اعتبار أن الثقافة رسالة، من خلال تبني الإبداعات التجريبية الطموحة وتقديمها دون قيد أو شرط، مع احترام حرية التعبير، ورعاية وتقديم المواهب الطالعة للحركة الأدبية، ونشر الإبداع الجيد، والتعريف بالكاتب وتقديمه إعلامياً، عبر وسائل الاتصال المختلفة، والدعاية الجادة للمنتج الأدبي.

الكتاب: الطافش ــ مجموعة قصصية

الكاتب: حسن الجوخ ــ مصر

لوحة الغلاف للفنان العراقي الكردي: فهمى بالايي

الطبعة الأولي: ديسمبر ٢٠٠٩

الناشر: سندباد للنشروالإعلام بالقاهرة

مدير النشر: خليل الجيزاوى

موقع سندباد: http://sendbad.net.ms/

المراسلة: khalilelgezawy@yahoo.com

للتواصل ت: ٠١٠٥٨٧٠٥١٤ +٠٠٢

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢١٠٥٦

الترقيم الدولي: ٨ ــ ٥٥ ــ ٥٩٦٦ ــ ٩٧٧ :I.S.B.N

الطافش

مجموعة قصصية

حسن الجوخ

سندباد للنشر والإعلام
القاهرة ٢٠٠٩م

الإهـــداء

أيها المُنتظَرُ.

لِمَ تأخرتَ كثيرًا؟!

من أجلكَ ننزف أعصاب أقلامنا بحثًا عنكَ، نناشدكَ.

إليك أينما كنتَ، لعل وعسى ...

حســـــن

الطـــافـــش

فكّر ــ بينه وبين نفسه ــ نعم لقد أحسن بـــالعودة إلـــى أهله، ناسه، قريته، تلك البقعة النائيـــة مــن أرض الـــوطن، ارتكب غلطة كبيرة؛ لأنه لم يفكّر فى العودة من قبـــل، كـــل شيء فعله خلال سنوات الغربة كان خطأً، عودته اليوم هـــى إحدى هذه الأخطاء المُستحبة، قدم مـــن القـــاهرة، أغوتـــه أضواؤها الزائفة، سرقت من عمره أكثر من اثنتـــى عـــشرة سنة. كدَّ، كافح، عانى، لم تعطه إلا الفتات .. بمجرد دخوله زمام قريته أحسّ بالسعادة والأمان.

يمضى يخترق الشوارع، الحارات، الأزقة، يتلفت يمنةً ويسرةً سعيدًا، هذا فى حد ذاته ممتع للغاية.. حينمـــا وجـــد أن لا أحد يعرفه، أو يرحب به شعر بـــشيء مـــن الـــشجن، لم يبالِ، يرى واحدًا أو اثنين من المبـــانى الكبيـــرة؛ مبنـــى

الجامع الكبير يعرفه، ومبنى آخر مرتفع لم يره مــن قبــل، شيدوه بينما كان فى القاهرة، لحظ أن بيوتًا حجرية تنــاثرت هنا وهناك بلا نظام أو رابط.

استدار فى بداية شــارع المدرســة الإعداديــة، راح يواصل سيره متمهلاً نحو شارع داير الناحية، شــال بعينــه فرأى عددًا من أطباق الدِش، تعلو أسطح البيوت الحجريــة، والطينية أيضًا، لحظ عددًا من مقاهى الإنترنت.

المنظر العام يبدو رائعًا؛ قرية صغيرة هادئة، تمتــزج فيها بعض مظاهر المدينة بروح القرية، أحد الأماكن التــى يستحب بها الاستقرار والزواج وإنجاب الأطفــال، طبيعــة المكان وضوح وهدوء وبساطة.

بينما القاهرة زحام، مشاكل، تعقيدات، أسماء المحلات تشعرك بالغربة والفقد، الناس فى الشوارع والميادين كــأنهم يسيرون بلا هدى، فوق وجوههم تعبير يمتزج فيه الغــضب بالحزن بالقلق، زحام وضجيج لا أول له ولا آخر، ســيارات وورش تلوث الجو، تقتل الناس بلا رحمة، شبان فى سيارات فخمة يحاولون التقاط فتيات من الشارع، آخــرون يعيــشون

لحظات الحبّ بفجاجة على كورنيش النيل، في الميادين والحدائق العامة .. صحيح مولد وصاحبه غائب.

يسير تلفت نظره وجوه رآها وهو فتى، أشخاص، مجرد أشخاص لا يتذكّر أسماءها، لكنه يعرف ملامحها جيدًا يرى محمد عزت، زميله القديم بالمدرسة الصناعية، مقبّلاً نحوه، عرفه من مشيته، توقف وانتظر فرحًا لحظة اللقاء، كانت تلك اللحظة ــ بالنسبة له ــ حلمًا جميلاً، كم تمنى تحقيقه، مقابلة غريبة يصعب تصديقها، طالما حلم أنهما يلعبان الكرة معًا، يهربان من المدرسة ليسبحا سويًا في الترعة الكبيرة، أو ليذهبا إلى السينما في المركز، ويتناولا الفلافل الساخنة دون أن يردعهما رادع.

الآن صار محمد عزت رجلاً ذا مشية وقور وروح ريفية مرحة، بدا له كل شيء جميلاً طيبًا، سعيد هو بارتكابه هذه الغلطة المُستحَبة، اقترب منه محمد عزت، أصبحت المسافة بينهما خطوة أو خطوتين فابتسم له ابتسامة واسعة وفرد ذراعيه، خُيل إليه لبرهة أنه لن يستطيع الكلام، تعانقا في مودة ملحوظة، تصافحا، وضحكا عاليًا فلفتا أنظار المارة، قال محمد عزت:

ـ الله يخرب بيتك، كنت فين السنين دى كلها؟ دوختنا!

ـ فى الدنيا الواسعة.

ـ يئسنا، فكرناك مت وشبعت موت.

ـ عمر الشقى بقي.

ودفعه دفعة خفيفة في صدره بقبضة يده، وهو لا يزال يضحك بصوت عالٍ.

قال فى تأثر واضح لصديقه القديم وزميل الصياغة:

ـ تصدق بالله، كنت بتهف عليّ ولاّ الأفيون!

ولكزه لكزة خفيفة مازحة فى بطنه، راح يقسم له مستخدمًا مفردات علّمه إياها محمد عزت منذ سنوات خلت، يقسم صديقه هو الآخر ويربّت كتفه بوّد.

أراد أن ينهي اللقاء فقال:

ـ لازم أروّح دلوقتى، أبويا وأخويا وأختى وحشونى قوى يا محمد، أشوفك الليلة.

سرعان ما كست ملامح محمد عزت مسحة حزن، إنطفأ صوته:

ـ أبوك تعيش أنت، ومراته بقى شوفها ع القد، لكن أخوك ربنا فتح عليه.

سار يبتسم لنفسه، ربما خامره شعور بالارتياح لوفاة أبيه، فكم عانى من المرض ونغّص عليهم حياتهم، قال في سرّه: إنه ومحمد عزت سوف ينعمان بأوقات أخرى ممتعة. شيء جميل أن يعود المرء إلى مرتعه، أهله، أصدقائه، معارفه، تأكد له أن النبتة لا تنمو إلا في صوبتها، مناخها. بعد دقائق سيكون بدارهم، في مسقط رأسه.

وصل شارع داير الناحية، رأى دارهم العتيقة على مسافة كتل من المباني الحجرية، راح قلبه يخفق، يخفق، تنّبه؛ هنا شيء غامض نسيه، عن تلك الفترة من حياته، طالما كرهها، شيء غامض كريه، شعر به ينبعث من أعماقه، ربما كان ظلمًا، قسوة، إهانةً، يتمًا، خوفًا، لا يدري بالضبط، لكنه واصل سيره، وكأن قدميه كيسان من الرمل. حينما اقترب من الدار كان الشارع خاليًا، على غير المعتاد. رأى أجزاء كبيرة من الطلاء الجيرى تساقطت عن الجدران الطينية، وخلّفت أشكالاً قبيحة، الرطوبة تضرب الجدران حتى الحزام، الشقوق سرحت، اتسعت، كان الباب البنى المحروق مغلقًا كئيبًا، دار قصيرة القامة بين دارين حجريتين شامختين، بدت له الدار قبيحة المنظر.

تساءل ـ بينه وبين نفسه ـ مندهشًا: لماذا لم يتركوها ويشتروا دارًا غيرها، قبل أن تنهار فوق رءوسهم، أو يرمموها على الأقل؟!

نظر إلى دارهم مرةً أخرى، راح يشعر بندم يتسلل إليه، بدأ يشعر بالانفصال عنها، لم يعد يطيق النظر إليها، كما كانت الحال بالضبط، وهو فتى؛ كان يشعر بكره شديد لدارهم، لكل القرية، صراعات أهلها الصغيرة، فراغ عقولهم، غلظة طباعهم، رداءة لهجتهم، طريقتهم فى الكلام أو التفاهم، هل يستطيع أن يعيش فى هذا المكان؟!

الحياة وسط الأهل والأصدقاء شيء جميل مؤنس، لكن هناك أشياء أخرى، أشياء مؤثرة لم يعمل حسابها.

خطا أمام دارهم ناظرًا إليها فى حسرة، أحسّ أنه غريب عنها، وهى غريبة عنه، شعر أنه يتطفل، برغم أنه وُلدَ ونشأ بين جدرانها.

فى تلك اللحظة بالذات بدت له القاهرة أجمل وأحن مدن العالم .. اندهش تمامًا: هل هذا هو المكان الذى طالما حلم به وهو فى الغربة؟! هل هذا هو المكان الذى هزّه بشدة وأبكاه حينما تركه وطفش؟!

أحسّ بالحرج من أن يخرج أحدهم فيراه هكـذا واقفًـا مترددًا، تخيل نفسه إذا رآه أحدهم فسوف يجـرى مبتعـدًا، رغم أنه لا يزال يرغب فـى رؤيـتهم، يحـسّ وجـودهم، يتشممهم، يتشمم فيهم تلك الرائحة الريفية الحميمـة .. مـال إلى جانب من الشارع، وقف فى ظل شجرة تـوت عجـوز مُورقة قريبًا من دارهم مفكرًا مضطربًا، يرغب فى رؤيـة أخيه؛ يريد أن يعرف ماذا صار شكله بعد اثنتى عشرة سنة، تُرى كيف يعيش فى هذا المكان؟!

هل ظهرت عليه آثار النعمة بعد أن فـتح الله عليـه؟! ـ كما أخبره محمد عزت ـ ليته يهوى القراءة أو مـشاهدة الأفلام، حتى يزيل عن نفسه السأم الرابض هنا.

نسى أنه لم يتذوّق طعامًا منذ إفطاره، يحلم منذ شهرين أن يأكل وجبة من يدي أخته، أن يجلس على الطبلية القديمة، أن يرى أخته النحيفة ذات الوجه الأسمر الجاد، تبدو قاسية، إنما كانت دموعها تنهمر لأدنى أذى يصيبه .. فَقَدَ شـهيته، تمنى أن يظل واقفًا تحت شـجرة التـوت، لا يـراه أحـد؛ ربما يخرج أحدهم لقضاء حاجة، حينئذٍ يـستطيع أن يـراه، يملأ عينيه منه، دون أن يراه هذا الأحد.

بدأ هدوء المكان وموقفه الحرج يضايقانه، يعرف جيدًا أن العودة إلى أهله أمر أراده بصدق.. كان يحلــم أن ينقــر على بابهم نقراته الثلاث المميزة، يقبّلُ أباه، أخــاه، أختــه، زوجة أبيه، يرتمي في أحضانهم، يمشي فوق أرض الدهليز حافيًا، يجلس على الكنبة القديمة في المندرة، ينام في مطرحه بجانب أخيه، فيحدث السرير أنينه المستغيث الحلــو، يــتكلم وأبيه في وقار كاذب.

تسلل إلى رأسه شيء ما، كان قد نسيه، شعور حقيقي، يحس به ينبعث من أعماقه، هكذا تبدى لـــه، شــــيء كريـــه، غرس فيه شعورًا بالكراهية نحو المــرأة .. وربمـــا نحـــو الناس.. منذ تلك اللحظة الفاصلة .. هذا الشيء غيــر كـــل شيء، غير شوارع وحارات وأزقة قريته المتربـــة القـــذرة، غير صراعات أهلها الصغيرة، فراغ عقولهم، غير غلظـــة طباعهم أو رداءة لهجتهم، غير طـــريقتهم فـــي الكـــلام أو التفاهم، غير الذباب اللحوح أو الناموس الرزل، غير مظهر الدار وما تومئ إليه، شيء جعله يريد الطفشان مرةً أخرى، وألا يعود أبدًا .. آه "الموت" الذي كان ينتظره في سُم دســـته له زوجة أبيه في طعام يحبه، اكتشفه بنفسه في آخر لحظـــة،

هى نفسها قالتها له صريحة بعد مشاحنات ومكائد عديدة بينهما: « لازم تموت زى الكلب، وإلا تبقى فضحتى بجلاجل ». هذا الأمر فى حد ذاته يجعل حياته فى القرية قلقة، غير ممكنة بالمرّة .. لن يعود، لن يستطيع أن يحيا حياته المأمولة هنا.. لم يدر كيف قادته قدماه، وجد نفسه فى الممر الذى يفتح فيه باب الريح .. سار فى غبشة المساء بطول الدار حتى وصل كوة حجرة المعيشة، كانت مضاءة بضوء خافت .. شبّ على أطراف أصابعه، نظر فيها فرأى أخته مشغولةً فى ترتيب بعض الأشياء، شاف الطبلية مُسنَدة على الجدار، المنقد الفخارى، جوزة كبيرة تشير غابتها إليه، كأنها تتهمه، حصيرة بلاستيكية كالحة، تنتشر فيها الخروم، كرسى حمام داكن اللون.. بدت له كل الأشياء حزينة كابية، حتى أن عينيه أغرورقتا بالدموع، شعر أنه فى حاجة ماسة إلى سيجارة، أشعل قدّاحته بهدوء وحذر شديدين، أخذ نفسًا عميقًا، ونظر إلى أخته فى جلبابها الرخيص المتسخ، قدماها ملوثتان بروث الماشية، بدت له الأشياء مرة أخرى أكثر حزنًا وكآبةً .. ودَ أن تدخل زوجة أبيه، يريد أن يرى تأثير الزمن عليها، كيف تبدو فى هذه السن، هل لا تزال ذات

سحنة كئيبة غاضبة أم هذبتها السنون؟!.. الغريب فى تلـــك اللحظة بدأ ضميره يؤنبه، لم يكن بارًا بوالديه، لم يحاول قط إسعاد أمه ــ طيَّب الله مثواها ــ لم يحاول أن يسعد أبـــاه.. عزىّ نفسه بأن ذلك كان غير ممكن لشخص فى مثل ظروفه شاءت اللحظة أو الصدفة أن يرى أخاه يدخل الحجرة فجأةً، يصيح فى أخته متذمرًا، أحسّ لبرهة أنـــه يـــودّ أن ينـاديـــه باسمه، أن يلطمه على وجهه، لكنه كبح جماح نفسه بصعوبة أخذ نفسًا عميقًا من السيجارة، وأطبق شـــفتيه بإحكـــام، ردد ــ بينه وبين نفسه ــ لم أكن شرًا محضًا، أشياء كثيرة فـــىّ طيبة: حبى للحيـــاة، ترفعـــى عـــن الـــصغائر، إخلاصـــى لأصدقائى، تقديرى لظروف الآخرين، أدائى الفروض أحيانًا بعد لحظة تفكير طالت قليلاً راح إحساسه بـــاليتم والـــضياع يتزايد، يتزايد حتى تحوّل إلى حنق يتـــأجج داخلـــه، انتابـــه غضب جنونى، ربما يدفعه إلى ارتكاب جريمة، أية جريمة، لكنه بصعوبة كظم غضبه.

سار فى هدوء محزون النفس، منكس الرأس .. وحينما ابتعد عن الدار بمسافة كافية راح يبكى بحرقة فى الظـــلام، وخطواته تسرع، تسرع، تبتعد به عن المكان.

الجِسْـــــــرُ

ـ فكرى إبراهيم السيد.

فلاح عجوز يرتدى جلبابًا فقيرًا، فوق رأسه طاقية صوف بيضاء، على حوافها امتزج التراب بالعرق، حاجباه متهدلان قليلاً، حبتا عينيه قلقتان، على وجهه حزن الدنيا.

يقف بين المحبوسين احتياطيًا، عند طرف طرقة ممتدة مثل يوم حزين عمال البوفيه يتحركون نشيطين، يلبون طلبات الجمهور والمتهمين يتقاضون أثمان الطلبات أضعافًا مضاعفة.

دفعه الحارس فى كتفه بغلظة، فوجد نفسه فى لمحة قدام وكيل النيابة، شال بعينيه فرآه صارم الملامح، معتدًا بنفسه فى غير غرور، خلفه تمامًا صورة الرئيس معلقة على الحائط، يجلس على مكتبه فوق مقعد وثير، على يمينه رجل

يسجل الإجابات، أمام المكتب كرسيان جلـــديان ذوا قـــوائم معدنية صدئة:

ــ أنت المدعو فكرى إبراهيم السيد؟

ــ أيوه يا بيه، بس من غير « المدعو ».

ــ إقترب يا رجل وارفع صوتك، أجب عـــن أســـئلتى بوضوح، بلا زيادة أو نقصان .. فى الخامس مـــن الـــشهر الجارى، كان المشرف الزراعى سيد محروس رشاد ومفتش الرى سيد بدر عابد يمران فى تمام الساعة العاشرة صـــباحًا على جسر الترعة الواقع بزمام كفر المصراوى، الموصـــل بين القرية والمركز فوجدناك عند الكيلـــو٣ متلبـــسًا بقطـــع ما يزيد عن متر من الجسر المذكور، تضمه إلـــى أرضـــك بالحوض رقم ٧، وهاتان مـــذكرتان محررتـــان بالواقعـــة، هل هذا ما حدث؟!

ــ آه .. يعنى إيه « الجارى »؟!

ــ دعك الآن من « الجارى » هل حدثت الواقعة كمـــا وردت بالمذكرتين المذكورتين توًا؟!

ــ آه، يعنى، حصل. بس إيه « توًا »؟!

ـــ دعك يا رجل من « تواً »، وقل لأى هدف قطعت ما يزيد عن متر من الجسر، وضممته إلى أرضك؟!

ـــ آه .. سمتوها أرضى، ربنا يسمع منك؛ دا أنا يا بيه مستأجرها، وهى كلها متكملش نص فدان، والحقيقة عيالى.

قطّبَ وكيل النيابة جبينه، قاطعه فى شبه حدة:

ـــ إسمع يا رجل، دعك الآن من « عيالك »، وأجب مباشرةً عن سؤالى: لأى هدف قطعتَ الجسر؟!

بصَّ الرجل العجوز إلى سقف الحجرة لحظة، كبس طاقيته فوق رأسه دون داعٍ، قال بصوت تغلب عليه المسكنة:

ـــ والله يا بيه لو ما كنت محتاج المتر التراب ده ما قطعته، ولاَّ ضميته للأرض.

ـــ دعك يا رجل من لؤم الفلاحين هذا، وأجب عن سؤالى دون لف أو دوران: ما حاجتكَ للمتر التراب الذى قطعته من الجسر وضممته إلى أرضكَ؟!

ـــ آه .. المتر التراب ده، إحنا بنقطعه من جسر الترعة، ونضمه للأرض، النواية تسند الزير يا بيه.

ـــ ماذا تقصد بـ « إحنا » يا رجل أنتَ؟!

ـ آه .. أيوه، إحنا فلاحين الناحية، يعنى.

ـ إسمع يا رجل كن صريحًا، لا تراوغ، لا تكذب.

يدمدم الرجل، تظهر عصبيته فترمش عيناه أكثر من مرة:

ـ دا أنا يا بيه عمرى ما كذبت، ليه ح كذب دلوقتى بس، بعد العمر ده كله؟!

ـ أنت تتهرب من المسئولية، وتلصق تهمتك بفلاحى الناحية!

ـ تهمتى! آه .. أيوه، مش لوحدى يا بيه، كل فلاحين ناحيتنا، كل واحد منهم خد أكتر من متر، ومترين من جسر أو سكة أو مصرف، وضمه لأرضه قبل منى، وما حدش قال تلت التلاتة كام!

ـ لا تراوغ، أنا أحقق معكَ أنت فقط!

ـ آه، علشان هما أكابر يعنى، ولاّ يعنى على راسهم ريشة، إلا إيه يعنى « فقط » يا بيه؟!

ـ يعنى، يعنى، ماذا تقصد بـ « يعنى» هذه يا رجل؟!

ـ يعنى، آه .. يعنى، أيوه .. يعنى!

ـ ما علينا، دعكَ من « يعنى» وركّز معى:

ألم يكن باستطاعتكِ أن تتبع طرقًا قانونية سليمة لتزيد مساحة أرضكَ؟!

قاطعه الرجل فى جرأة غير متوقعة:

ــ زى إيه يا بيه؟!

تستأجر مساحة أخرى، يمكنك أن تهجر القرية، وتأخذ ما تريده من مساحة فى الوادى الجديد، فى توشكى مثلاً، بدلاً من اقتطاعك من الجسر والجورعلى سكك خلق الله.

ــ الوادى الجديد بعيد عليا يا بيه، وأرضه عايزة حيل وصبر، وسيادتك شايف، وأراضى توشكى اتوزعت على اللى قدروا يدفعوا مهرها، وسيادتك سيد العارفين.

ــ يا رجل كفاكَ تظاهرًا بالغباء، أنت تبدو كأنك هبطتَ فجأةً إلى هذه الدنيا، ألا تقدّر إلى أية كوارث يقودنا تعديكَ على الجسر، لو لم يكتشف ذلك المشرف الزراعى ومفتش الرى؟ كان من الممكن أن تقتطع الجسر كله، تتسبب فى قطع طريق، تعطل مصالح الناس، توقّف حالهم، تقتلهم بجهلك. أليست هذه هى الحقيقة؟!

ــ أعوذ بالله يا بيه! أقتلهم؟! أقتلهم ليه لا سمح الله؟! إزاى؟! هو أنا ما أعرفش ربنا واللاّ إيه؟

دا أنا عشت عمرى ما قتلتش فرخة.

زمّ وكيل النيابة حاجبيه، حدّق فى وجه الرجل مُتعجبًا، خبط بقبضة يده على المكتب:

ــ أليس تعديكم على الجسر يسبب سقوط السيارات والجرّارات الزراعية فى الترعة، تلك الحوادث التى راح ضحيتها العشرات، أليس هذا قتل لنفوس بريئة؟!

يبتسم الرجل ابتسامة قصيرة ساخرة، يزُّر عينيه ناظرًا لوكيل النيابة فى ارتياب:

ــ لأ؛ وبيحصل من سنين يا بيه؛ كل فلاحين ناحيتنا والنواحى التانية بيقطعوا من الجسور، ويتعدوا على السكك، ويضموها لأراضيهم، والحكومة ودن من طين وودن من عجين، هو يا بيه عاد فيه جسور ولاّ سكك ولاّ حدود فى البلد، اللى قطعته كله متر تراب، لكنه يمكن يشبع عيل يوم أو يومين، هو أنا سرقت، ولاّ قتلت؟!

ــ يا رجل افهم، ألا تدرى أن اقتطاعك متر التراب يجعل الجسر ينهار كله، تتسبب فى كارثة؟!

ــ إحنا فهمين ده كويس يا بيه؛ إحنا بنقطع الجسر متر متر، وبالراحة خالص، عندنا نظر.

ـ وهل هذا يعقل؟!

ـ طيب، خدوا المتر التراب اللى قطعتــه، لأ، خـــدوا النص فدان كله، وهدومى كمان، بس أكلوا العيال وأمّهم.

ـ ألا تتخيل ما يمكن أن يترتب علـــى تعـديك علـــى الجسر يا رجل؟!

يتثاءب الرجل، يوحّد الله بـصوت خفـيض، يـصمت لحظة، ناظرًا فيما حوله دون داعٍ:

ـ يا بيه أنتم من أهل العلم علشان كدا بتفهموا وتتخيلوا وتقدّروا، وربنا أعلم لمين يدى المفهوميــة والتقــدير؛ أهـــو حضرتك بتفهم وتقدر، لكن الحارس قدام مكتبــك زيــه زى فلاح جاهل غشيم، ما عندوش مفهومية ولاّ تقدير، ســيادتك أول ما ناديت اسمى زقنى بلا رحمة، علشان ما دفعتلــوش، اكتب برضه يا بيه إنه ضربنى تلت مرات: مرة فى وشـــى، ومرة فى سدرى، ومرة ...

ـ اسكت، كفاك ثرثرةً، صدعت رأســى، نحــن هنـــا مكلفون بتنفيذ القانون، يا رجل قدّر، ميِّز.

ـ طبعًا حضرتك أدرى؛ أنا رجل جاهل غشيم، إلا إيه يعنى « ثرثرةً » مش فاهم!

ـ أنت؟!، أنت فاهم كل شيء لكنك تـراوغ، تتظـاهر بالغباء!

ـ أنا صادق فى كل كلمة قلتها، وربنا يعلـم، إسـأل أهالى كفر المصراوى إن كنت مش مصدقنى، أصـل إحنـا يا بيه بنقطع من الجسور والسكك والمصارف، علشان الأرض ضاقت علينا، والعيال ...

ـ اسكت يا رجل قلت لكَ وإلا ...

يسود صمت ثقيل الوطء، يقف العجوز متململاً .. يحدق فى سطح المكتب ذى الزجاج الفومية اللامع، تطـرف عيناه؛ وكأنه لا يرى زجاجاً، بل ومضات شمسية تزغلل .. وكيل النيابة ينحنى على الأوراق، ينظرها فى تأنٍ .. بينمـا العجوز يتحدّث ـ بينه وبين نفسه ـ : « لـو ارتكبـت ما يستحق السجن لرحت بنفسى، لكن كدا .. هه، من غيـر ذنب!، عملت إيه أنا غير اللى أهل الكفـر عملـوه، ولـسه بيعملوه، ما سرقتش، مـا قتلـتش .. يـا رب أهـل العلـم والمفهومية يقدروا ويفهموا إنى مظلوم ... ».

رفع وكيل النيابة رأسه من فوق الأوراق، بسرعة أملى

على كاتبه الجالس على يمينه جملة واحدة بصوت خافت وقور:

ــ تفضل وقّع على أقوالكَ.

وقع العجوز ببطء فى صمت، بخط لا يقرأ!.

أخذ وكيل النيابة ينظر فى الأوراق مرة أخرى .. بعد لحظة صمت رآها الرجل طالت أكثر مما ينبغى، سأل متلعثمًا بصوت مهزوز، بعد أن بلع ريقه أكثر من مرة:

ــ أمشى يا بيه؟!

لم يرد وكيل النيابة، لم يعره أدنى اهتمام، فرفع الرجل صوته حتى صار مسموعًا:

ــ أرّوح يا بيه؟

ــ لأ...

جاء الرد كحد سكين باتر، فرفع الرجل حاجبيه المتهدلين، بصّ إلى وكيل النيابة والرجل الجالس عن يمينه، متسائلاً فى دهشة:

ــ لأ...؟! لأ ليه يا بيه؟!، أنا مستعجل؛ لازم أروح السوق دلوقتى؛ ليا عند تاجرة الزبدة أربعين جنيه، لازم آخدها النهارده، الدار مفهاش قرش صاغ يوحد ربنا..

جماعتى والعيال ...

ـ اسكت يا رجل لا تشوش علىّ، اصمت تمامًا، قلت لكَ.

ـ بس أصل الموضوع يا بيه ...

يقاطعه وكيل النيابة صائحًا بعد أن نفد صبره:

ـ يا حرس.

أخذ الرجل العجوز يدمدم، بينما يقتاده حارسان إلى خارج الحجرة.

صَيدٌ

بعد مشادات كلامية، تطوّرتْ إلى اشتباكات مع إخوته، نغصتْ على العم خضر حياته فى حجرة بيت العائلة، عاش فيها على مضض وزوجته وطفليه، استطاع أن يدبر حاله ــ لا نعرف كيف؟! ــ وبنى دارًا بالطوب الأحمر، على مساحة نصف قيراط ــ ورثته زوجته ــ فى أقصى طرف للقرية، مخالفًا القوانين واللوائح؛ رشا المشرف الزراعى، وغضّ المجلس المحلى الطرف لأسباب انتخابية بحتة .. تحيط بالدار الجديدة المزارع من ثلاث جهات .. يتوغل الليل، والعم خضر قاعدًا وحده فى حجرة الضيوف، قدامه المنقد الفخارى، فوقه براد الشاى، يتصاعد بخاره، على يمينه الجوزة وباكو المعسل، يتسلل إلى أذنيه دبيب أقدام، وأصوات خفيضة أشبه بالهسهسة، يرهف السمع، فيتأكد ممّا سمعه،

يشعر بخوف ما، فكّر أن يوقظ امرأتـــه، لــسبب لا يدريـــه تراجع فى آخر لحظة .. يصعد حافيًا فى هدوء إلـــى ســـطح الدار.. يستند بمرفقيه على السور كاتمًا أنفاسه، يحـــدّق فـــى الفراغ المظلم، تخايل عينيه أشباح غامضة، تلف حول الدار، تتقارب رءوسها، يبدو أنها تتهامس، تتهامس وتلـــف حـــول الدار، تلف وتتهامس.. آه، حرامية يريدون سرقتى؟!، يداخله الخوف، يبرد جسده، ينزّ عرقًا باردًا .. يقول ـــ فى سره ـــ:

"يا فرحة أخواتك والبلد فيك يا خضر، حبقى لبانة فـــى بقهم، تـــنـــهّد تنهيدة صاهدة حرقت ألف شيطان .. حينمـــا رأى أشباحهم تبتعد عن البيت، تذوب تمامًا فى الظلام.

* * *

فى الصباح الباكر حين أخبر صديقه الحمـــيم إبـــراهيم الشرقاوى، وهما خارجان من الجامع الكبير بما حدث لـــيلاً، ويمكن حدوثه، خصوصًا أن داره بعيدة عن حراسة الخفـــر وعين الشرطة، رد باقتضاب:

ـــ رخصلك بندقية، نش واحد منهم، والبادى أظلم.

ـــ منين بس يا أبو خليل، ما أنت عارف البير وغطاه!

ـــ خلى بالك، ربنا يسلم.

ـ هو الحذر بيمنع قدر!

مصمصَ إبراهيم الشرقاوى شفتيه كالنسوان، فتح فمـه وأغلقه أكثر من مرة بلا داعٍ، فى صمت دخل داره حتى لـم يقل له: "تفضّل" كالعادة، ترك العم خضر يواصل سيره إلـى داره الجديدة، تناوش رأسه عشرات الأفكار والاحتمالات.

* * *

الشمس ترخى شعورها الذهبية على وجه المساء، والعم خضر يقف منتصبًا بطوله البائن بالقرب من بيته، ومزقة من سماء الأصيل الشاحب معلقة فوق رأسه، حينمـا رآه خطـا بضع خطوات، وقف قدامه وضع رقبة الحمارة تحت إبطـه الأيسر، يضغط فتقف منكسة الأذنين، فوق ظهرهـا حمـدان الغرباوى ـ هكذا يدعى ـ تمتلئ عينـاه بالدهـشة، مهنتـه الظاهرة بيع بذور البصل والطماطم والكرنب واللفت والفجل والجرجير للفلاحين، أما مهنتـه الخفيـة، التـى لا يعرفهـا إلا أبناء الليل وعجائز القرية تجارة السلاح وتهريبه، قـرّب العم خضر وجهه من حمدان الغربـاوى، همـس بـصوت مجهد، تغلب عليه المسكنة:

ـ أنا بنيت بره البلد، وعلى رأى المثل " إيــه اللــى غصبك على المر ..."، ولاد الحرام مطيرين النــوم مــن عينيا يا معلم حمدان، مصممين ...

قاطعه حمدان الغرباوى بصوته الخشن:

ـ قُصره.

رد العم خضر مُتلهفًا:

ـ عايز حتة سلاح ضرورى، بس تصبر عليّا شــوية؛ المبانى خلتنى على الحديدة.

ضحك حمدان الغرباوى ضحكته الممطوطة المميــزة، سقط العم خضر فى لحظة قلق لزجة، وتعلقتْ عينــاه بفــم الرجل وهو يقول:

ـ ليه بس كده، دا أنت رجل طيب!

ـ اتصرف لى بس فى حتة سلاح، الله يبارك لك.

ـ تعرف تستخدم السلاح يا خضر؟!

ـ هى شغلانة يا معلم حمدان!

زحزح حمدان الغرباوى مؤخرة عمامته، هرش رأســه لحظة، قطّب بين حاجبيه مفكرًا لحظة أخرى، أخــرج مــن جيب صدّاره ورقة بيضاء، أنظف من جيوب العم خضر:

ـ فعلاً كل شيء نصيب، إمضى هنا، ووضع إصبعه الضخم أسفل الورقة؛ ما حدش ضامن حياته.

ـ حاضر.

غمس إصبع العم خضر فى الختامة:

ـ أبصم هنا جنب الإمضا.

ـ عينيا، الاحتياط واجب برضه، جميلك عمرى ما حنساه يا معلم.

نزل حمدان الغرباوى، أخرج من خرجه مطواة قرن غزال، رفع أحد جانبى الخرج قليلاً، شق البرذعة فوق ظهر الحمارة كجراح ماهر، سحب المقروطة، ناولها إلى العم خضر، فتلقفها كوليد طال انتظاره:

ـ إتصرف إنت بقى فى كام طلقة بمعرفتك.

قفز فاعتلى ظهر حمارته، وفى لحظة خاطفة اختفى من المكان، هرول العم خضر إلى بيته، يتلفت حوله فى كل خطوة، وقلبه يخفق بشدة، يخفق .. لما تأكد أن أحدًا لم يره، أخفى ابتسامته الفرحة فى كم جلبابه، فرد جسده على الكنبة الوحيدة فى حجرة الضيوف، حط المقروطة فى حضنه،

غطاها بشاله الصوفى، وراح فى سبات عميق، خصوصًا بعد سهره الممض وقلقه المنهك طوال ثلاث ليال.

* * *

قبيل الفجر نهضت القرية مفزوعةً على استغاثات العم خضر وزوجته .. فى الوقت الذى راح أهالى القرية يجوسون فى حقولها، شوارعها، حاراتها، أزقتها، سطوح دورها، سككها المطروقة، وغير المطروقة، حاملين الكلوبات والكشافات والفوانيس، جادين فى البحث عن اللصوص وملاحقتهم.

كان أبناء الليل يجلسون وحمدان الغرباوى فى داره بقرية أخرى قريبة، يتقاسمون فى المقروطة والنعجة وأنبوبة البوتاجاز، وهم يتبادلون أنفاس الدخان الأزرق ويقهقهون.

طرحة سوداء طويلة

في أصيل ذلك اليوم فرد جلبابـــه علـــى رأس الغــيط، خطف صلاة العصر .. مسح الغيط بنظرات حنــون، روّح إلى داره، والشمس تأخذها بيدكَ.

* * *

في الطريق شعر بدوخة وزغللة .. عندما دخل الــدار راكبًا حماره غامت في عينيه الرؤى، نزل من فــوق ظهــر الحمار بصعوبة، يعاني من كرشة نفس وضيق في صــدره، تتقلص ملامح وجهه، لما شافته زوجته على هــذه الحــال، وهي قاعدة على راحتها في الدهليز، تلضّم قــرون الباميــة الخضراء في خيط طويل، فزّت مفزوعة، تــضرب بيــدها الناشفة ضربات متتالية ملتاعة:

ـ يا لهوي دا وشك زي الليمونة، ما لك يا أخويا؟!

ـ مفيش .. تعبان شوية .. سدرى طابق عليّا.

ـ بعد الشر عليك، عينهم تندب فيها رصاصة.

مدّ يمينه، تشبث بكتفها حتى لا يسقط .. تجاهد حتى عبر عتبة الحجرة، أجلسته على الكنبة الخشبية أم سحّارة، وهو مازال يشحذ أنفاسه، فردت الحصيرة أمام السرير الحديدى أبو عمدان، رفعت شريط اللمبة نمرة عشرة، أشعلته فزهّر النور وبدد غبشة المغربية .. ضمته إلى صدرها، ربّتت على ظهره بحنان، فانعكس ظلهما ككائن خرافى على الجدار الطينى القاتم:

ـ سلامتك يا عوض، عين وصابتك يا خويا.

مرّت لحظة صمت قلقة، رمشت فيها عيناه، بلع ريقه بمشقة .. قال بنبرات متقطعة:

ـ عين إيه بس .. شايفانى .. جايب .. الديب من ديله!

ـ حسدونا، آه بيحسدونا على العيلين، والعين فلقت الحجر.

دخلت أمينة أم عبد الله زوجة ابنه البكرى، بعد أن ربطت الحمار فى الزريبة، شالت من فوق ظهره البرذعة

وضعت له العليقة مخلوطة بالتبن، فوجئت فشهقت، ضربت بيديها على فخذيها:

ــ ما لك يا عمي؟! ألف سلامة، دا عمي تعبان خالص يا مه!

بسرعة انحنت أمينة، رفعته وحماتها .. وضعاه فوق السرير، وضعت أمينة وسادة إضافية تحت رأسه .. بينما خلعت حماتها عنه جلبابه وقميصه، وراحت تدلك صدره ورجليه، وسرعان ما أحضرت أمينة كوبًا محلى بالسكر، دون أن تستأذن من حماتها.. وقفت وجلى والكوب في يدها، تكاد الدموع تطفر من عينيها؛ فالرجل عمها، وغالبًا ما يقف في صفها في أي خلاف ينشب بينها وبين حماتها .. تناولت زوجته الكوب من أمينة، وضعته على شفتيه، في تردد رشف رشفة واحدة، ورفع يده ــ في وهن ــ رافضًا:

ــ قِنعتْ يا تفيدة.

ــ اشرب يا عوض، بلِ ريقكَ يا أبو حسين.

مرت لحظة صمت ثقيلة .. رفع يده مرة أخرى ــ في وهن أشد ــ رافضًا:

ــ طب كمان شفطة واحدة!

زغر لها بعينين، رأتهما تفيدة قد أخذتا هيئة أخرى؛ لم ترها من قبل .. خنقها البكاء فأخشوشن صوتها، وشعرت بمرارة الغصة .. لكنها هدأت قليلاً، حينما لحظت توقف تقلصات وجهه، وانتظام أنفاسه إلى حد ما .. مدد رجليه .. أخذ نفسًا عميقًا .. أغمض عينيه نصف إغماضة، نزّت مسام جلده عرقًا باردًا .. وقفت زوجته أمام السرير بجانبها أمينة ساهمتين، وقد أُسقِط فى أيديهما .. قالت زوجته بنبرات تقطر حزنًا وحسرةً:

ـ جَمل المحامل برك، عوضنا عليك يا رب.

أرخت عليه الناموسية، راحت تنهنهه بصوت مكتوم، وتمسح دموعها بذيل جلبابها.. بعد لحظة اهتز جانب الناموسية، ظهرت كف يده ممدودة، فزّت زوجته بسرعة، وأخذت تقبّلها.. قبلات ربما تشى بالامتنان.. بهدوء شديد رفعت طرف الناموسية، طلت فى وجهه الذى عادت إليه التقلصات، تماسكت أو تظاهرت بذلك، بصّت فى وجهه وابتسمت ابتسامة حنون:

ـ إزيك دلوقتى؟ شد حيلك يا أبو حسين، دا إحنا من غيرك ...

لم تكمل؛ فقد خنقها البكاء، نظر إليها، قال بصوت ذابل:

ـ أصيلة يا تفيدة، أصيلة.

ـ ربنا ما يحرمنا منك يا أبو حسين.

شرد لحظة .. نظر إليها نظرة أسيانة .. سأل عن أولاده كل باسمه دون أن تخونه الذاكرة، ترد عليه على قدر السؤال بصوت مخنوق خشن .. ثم فرد الصمت خيمته الكابية لحظة طالت قليلاً .. نظرت الزوجة إلى أمينة نظرة ذات معنى، فهرولت تبحث عن أولاده، تخبرهم بأسلوبها الهادئ العاقل بالحالة التى ألّمت بأبيهم، وهى تردد ـ بينها وبين نفسها ـ: (يا رب سلّم، سلّم يا رب).

* * *

حينما بدأ أولاده يفدون، رأوا أمّهم قد عصبت رأسها بالطرحة السوداء، دموعها تسح بلا انقطاع، وعلى وجهها حزن الدنيا .. أخبرتهم بحالة أبيهم فى كلمات سريعة مركزة بصوت خفيض، ختمت كلماتها كالتائهة:

ـ عمود البيت بيسرقه ريح الردى، اتصرفوا يا ولاد، اعملوا حاجة.

وقف الأولاد أمام السرير، يضربون أخماسًا في أسداس، في لحظة واحدة تقريبًا رفعوا طرف الناموسية، بصّوا في وجهه، ابتسم لهم ابتسامة شاحبة، تأرجحت على شفتيه برهةً، ثم اختفت، وصمت صمتًا ناطقًا:

ـ (فيه إيه، أنتِ مكبرة الموضوع يا مه؟!)، (أبونا كويس؛ هو كل واحد داخ شوية يبقى حيموت؟!)، (إيه الفال الوحش ده؟!) (والله ساعة كده ويبقى زى الفل). (يا ريت بس يسمع كلامنا ويريح نفسه ...).

قاطعتهم بحدة واضحة:

ـ أنا عارفة باقول إيه، اسمعوا كلامى، اتصرفوا قبل الفاس ما تقع فى الراس، ونلحسها من على التراب.

أردفت:

ـ صحيح، قلبى على ولدى انفطر، وقلب ولدى عليا حجر!

ردَّ أبو عبد الله بسرعة فى شبه غضب:

ـ خلاص نبلّغ الإسعاف، وتصبح سيرتنا لبانة فى بق البلد.

قالت أمّهم فى صوت حزين، يقطر صدقًا:

ـ هو إحنا حمل بهدلة المستشفى الميرى وقرفه؟!

مرت لحظة شحِنت بالتوتر والقلق، اهتز جانب الناموسية، ظهرت كفه ممدودة مرةً أخرى، نادى بصوت ذابل، أشبه بالأنين:

ـ تفيدة .. حسين .. تفيدة .. يا على ...

رفعوا طرف الناموسية بأصابع مرتجفة، بصّوا عليه، فوجدوه يغمض عينيه نصف إغماضة، كأنه يعانى إغماءة خفيفة .. صدره يعلو ويهبط بمعدل أسرع من ذى قبل، شفتاه تميلان إلى البياض، الصفرة تضرب وجَهه، كمن يعانى من نزيف.. بعد تردد نظر فى وجوههم، قال بصوت خافت متقطع:

ـ ببـ .. يـ .. سى .

نظروا لبعضهم البعض نظرات ذات معنى، ونزل عليهم سهم الله .. قالت أمّهم بلهجة آمرة حاسمة:

ـ لازم نجيب له الببيسى، اتحركوا، هى دى حاجة عايزة تفكير!؟

ـ يا مه مش كده؛ إذا كان فيه واحد بيحب، عشرة بيكرهوا، مش ناقصين شماتة!

ـ بس لازم نجيب قزازة البيبسى، يشرب اللـــى فـــى نفسه، واللى يحصل يحصل.

دون أن تنتظر ردًا من أحد دست يدها فـــى صـــدرها، أخرجت صرة الفلوس، عدت ثلاث تعريفات، حطـــتهم فـــى كف أم عبد الله، قالت ضاغطة على مخارج الحروف:

ـ قوام يا بت تجيبى قزازة بيبـــسى، يـــلا حطـــى طرحتك السودا الطويلة على راسك، تدارى القزازة فـــى الطرحة، مش عايزين فضايح.

تنهدت تنهيدة طالت قليلاً:

ـ الحمد الله إن عندنا طرحة سودا طويلة وإلا كنـــا زمنا دوخنا على واحدة عندها.

* * *

على خزّان الجامع وسط البلد، يقعـــد بعـــض رجـــال قريتنا وشبابها، يثرثرون، يتسامرون، يتراهنـــون، يبقـــرون بطن القرية، تظهر أحشاؤها، فتُداس بالبلغ والأحذية والأقدام الحافية أحيانًا .. ولابد أن تمرَ أمينة عليهم فى طريقها إلـــى الدكان، سواء أكانت ذاهبة أو عائدة.. للأمانة أمينة لم تقصر؛ وضعت الطرحة السوداء الطويلة على رأســـها، دارت بهـــا

زجاجة البيبسى، أثناء مرورها أمام خـزان الجـامع كانـت مطمئنةً تمامًا، لم يخطر ببالها أنْ يحدث مـا حـدث، يـشاء القادر أن تهب نسمة طائشة ترفع الطرحة، فتكشف زجاجـة البيبسى، يلمحها رجل من القاعدين علـى الخـزان، فيفـزٌ مسرعًا، وقد تملّكه حب استطلاع لا يقاوم:

ــ يا أمينة، أنت يا أم عبد الله، اقفى يا بت!

بخطواته الواسعة لحقها، أوقفها:

ــ واخدة البيبسى ده لمين؟!

فى البداية لم ترد .. وقفت جامدة حـائرة، لكنهـا رأت أن من العيب ألا ترد على رجل فى سن أبيها، بل يعد واحدًا من أعيان القرية، قالت متلعثمة:

ــ البيبسى، آه، البيبسى ده، لعمى عوض.

فضرب الرجل كفًا بكف، حوقل واسـتعاذ بـالله مـن الشيطان الرجيم:

ــ كأنه طلب البيبسى! لا إله إلا الله، كأنـه طلـب البيبسى؟! دنيا ملهاش أمان صحيح، دا لسه مصلى العِـشا معانا إمبارح.

بعد دقائق تعود أمينة بالزجاجة فارغة، تستوقفها امرأة

فى سن جدتها، ترسم على وجهها المجعد علامات حزن:

ــ شرب القزازة كلها؟!

ــ شربها كلها يا ست الحاجة، حتى الواد عبــد الله، كان واقف وعينه فى القزازة، مادلوش بق.

ضربت المرأة بيدها المعروقة على صدرها، راسـمةً على وجهها علامات جزع مبالغ فيه:

ــ لأ، آه، دا هو كده بيشرب فى آخر زاده!، لأ يا بنتى إلحقوا جهزوا نفسكم.

* * *

بعد أقل من ساعة، والمصلون خارجون مــن الجــامع الكبير عقب صلاة العشاء، تطــرق آذانهــم تلــك الــدقات الجنائزية المقبضـة لطبّال القرية .. يتساءلون مندهشين:

ــ مين اللى مات يا جماعة؟!

فيرد رجل بصوت مخمور بالحزن:

ــ عوض أبو حسين، البقاء لله.

مُكابـــــرة

ـــ ...

ـــ عندى حصة.

ـــ ...

ـــ عندى درس خصوصى.

ـــ ...

ـــ عندى مجموعة، حِلْ عنى لو عندكَ حِس!

ضيعتنى يا قلب .. عذبتنى كثيـــرًا .. إســـترح طالمـــا عزّتْ عليكَ .. بذلتَ ذوب مشاعركَ، أعطيتَ بـــلا حـــدود، تعيش أيامكَ ولياليكَ منشغلاً بها عن حالكَ وناسكَ وعملكَ .. حتى عن تناول طعامك .. هل أنا رومانسى إلى هذا الحـــد؟! إن كنتَ منى يا قلبى إسترح وأرحنى، كفانى سهادًا، كفـــانى شقاءً .. هأنذا يعاندنى حصان الحبّ فأسقط مرتعشًا من فوق السرج، وأنا العاشق الفارس فى مضمار العشق.

أيها القلب المعنى لمَ مرّغتنى فى التراب على عتبتها؟!، لِمَ هذا الهوان؟!، وأنا الأبى طوال العمـــر .. هــل شــختَ يا قلبى قبل الأوان؟!، صارتْ أيامى أوراقاً يغشاها الــذبول والإصفرار، غريب أنتَ يا قلب، لا تزال ترنو إلـــى حـــبٍ ليس كأى حب، تتشوق إلى تواصل حقيقى مع مَـــنْ تحـــبُّ، لحظة تعانق روحى، هى لحظة إنما تعادل ألف عمر، لحظة يصير فيها الإنسان إنسانًا بحق، بل ملاكًا يعيد إلى هذا العالم بكارته وجماله، يصير مدينة فاضلة كمـــا تخيلهـــا الفلاســـفة والشعراء، عالم يكون فيه الحب هو الكينونة والكيان.

* * *

لِمَ يا قلبى أحببتَ تلك الريفية الغشيمة العنيدة؟!

هل قُدّ قلبها من حجر؟!

فتاة طمرتْ مشاعرها عادات وتقاليد وأعــراف باليـــة، ونظرة مادية نهّازة للفرص .. لا تعرف إلا الــشغل ولغـــة الأرقام فحسب، تمارس على نفسها ضغطًا مطاردًا .. تقـــيم نفسها بأرقام رصيدها فى دفتر التوفير!، أرقام برّاقة مغريـــة تلتهم أجمل سنوات عمرها، وتــستحث طمعًـــا شـــرهًا فـــى المزيد!، غير مبالية بحاجتها إلى إنسان يُـــشاركها حياتهـــا،

يمنحها ماء الحياة، يخصّب أيامها فتخضوضر خلايا جسدها، تعيش حياتها، تنجب أطفالاً يعبدون الله، يشبون رجالاً يثرون الحياة، يكونون ذخرها فى أوقات الحاجة والعجز، لكنها تكابر فتظل ترسًا فى دولاب عمل لا يكف عن الدوران.

حبيبتى ها هى ذى أيام شبابكِ تتفلّت كالماء من بين الأصابع، مسكينة أنتِ، أراكِ جمادًا يختلس مظاهر الحياة، ملعون أبو الدروس الخصوصية، ملعون أبو رصيد الدفتر، ملعون أبو الحياة الجافة الجامدة، فهى لا تساوى لحظة حّبٍ صادقة، ضمة حنان، لحظة ممارسة دافئة تطيّر صقيع فراشها، فانتبهى أيتها الحيّة الميتة، إنتبهى قبل فوات الأوان، وأنتِ تعرفين جيدًا كم جاهدتُ وكابدتُ حتى أقمتُ عشًا متواضعًا للزوجية.

سيكون أعظم من كل قلل المدن بحبى لكِ، أستحلفك بالله وصدق نبضى ألا تعطى أذنيكِ لصديقاتك وزميلاتك ذوات الرؤى المسطحة تجاهلى تمامًا كلماتهن المسمومة الحاقدة، أنصتى إلى صوت قلبك ولو مرة واحدة، ولو على سبيل التجربة، لن يكذب عليك أو يضللكِ، صدقينى

يا الله أهواها بكل ذرة فى كيانى، أعشق ابتسامتها،

ضحكة عينيها، لمعة النداء فى بؤبؤيها، تلفت عنقها فى حذر، تقاسيم جسدها المخروط بعناية فائقة، ملامح وجهها الفاتنة .. معها تسمع تغريد بلابل، تتنسم عطرًا يضمخ المكان، ويجذب الجميع إلى دائرتها، فى وجودها تغمرنى بهجة حنون فأحلق فى أفقٍ منْ اللازورد.

حبيبتى البخيلة الجميلة لِمَ الجفاء؟!، هل فقد قلبكِ القدرة على الحبّ إلى هذا الحد؟! يقولون: "ما خرج من القلب يصل إلى القلب" لِمَ لم يصلك حبى أو تشعرين به؟!، نعم لمحتُ بل صرحتُ فما كان إلا اللامبالاة والصدّ! هل قدرى أن أظلَّ أتلظى بنيران حبكِ طوال العمر؟ لماذا لا تصالحنى الأيام؟!، لِمَ أُحرَمُ من حبها، كم انتظرته وعشته أحلاماً حريرية لذيذة، ألستُ إنساناً له قلب من حقه أن يحب، ويسعد بالحبّ؟!.

* * *

آهٍ يا فاتنتى إنى فى غاية الدهشة والحسرة والألم.

ماذا أقول وقد بلغ يأسى من مبادلتكِ حبى أقصى مداه؟!

لا أملك إلا أن أقول لك، وقلبى يتقطّعُ: "اشتغلى اشتغلى

لا تكفى عن الشغل لحظة واحدة، انزفى كل طاقات شبابكِ

فى الدروس الخصوصية والمجموعات الدراسية، استغرقى

واغرقى فى الحصص والــدروس، انــسى نفــسك تمامًــا، لا تستريحى أو تروّحى عن نفسكِ لحظة حتى تحصلى علــى أعلى عائد، أكبر قدر من المال، إغرى بل هددى تلميــذاتك ولا تخجلى؛ فالمادة أولاً وفوق كل اعتبار، لا تعطى فرصــةً لقلبكِ أن ينبض بحب؛ فالحبُّ دمار والدروس الخــصوصية أرقام تزيد رصيدكِ فى الدفتر، اشتغلى اشتغلى فالشغل هــو حياتك وحياتك هى الشغل، لا تدعى جارحة مــن جوارحــك تطالب بحقها، كونى ترسًا دوّارًا فى آلة هذا الزمن الجهنمى حتى لو ضاع العمر، استغرقى واغرقى حتى أذنيــكِ فــى الشغل، لا ترفعى رأسك حتى لا ترين أغصان أيامك صفراءَ ذابلةً، لا تنظرى فى مرآة حتى لا تــداهمكِ تلــك التجاعيــد المنذرة، انكفئى تمامًا على الــدروس المهلكــة، لا ترفعــى صوتكِ أو تطالبى بحقك؛ فقد ضاعت الفرصة وانتهيتِ تمامًا منذ أغواكِ حُلم الثراء وشبق التملك بعد حرمــان، اشــتغلى اشتغلى لا تغني، إياكِ وفتح فمك حتــى لا تنــدَّ عنــه تلــك الصرخة المكبوتة القاصمة، صرخة تمزق حنجرتكِ، تزلزل بدنك، تفرتك جمجمتكِ، توقف نبضكِ، تعصف بكيانك كله، وتسقطكِ فى هوة النهاية المحتومة.

موت .. حياة .. موت

يعود متأخرًا من اجتماع جماعة الصحافة بمدرسته، يحمل من الآمال ما يجمّل الحياة فى عينيه، وينير مستقبله .. قبل أن يصل إلى دارهم بأمتار قليلة رأى جمعًا من أقاربه وجيرانه، يقفون صامتين إلا من همهمات خافتة، وسط جمعهم الواجم لمح تابوتًا خشبيًا أكثر صمتًا ووجومًا، يومها مات أبوه، وهو فى كامل صحته، وماتتْ معه تلك الصرخة، التى ظنَّها ستقهر القدر، هيهات، رأى آماله تظلم، وهى فى قمة توهجها.

أمله ــ الذى طالما حلم به ــ أن يكون صحفيًا مرموقًا، ذا قلم جذّاب، يفجّر القضايا، يجذب القراء، يستحوذ على اهتمامهم .. ها هى ذى الأيام تحول بينه وبين تحقيق أمله؛ فهو أكبر إخوته الثلاثة، الواجب والعرف والتقاليد

الريفية تحتم عليه أن يكون عائلهم منذ ذلك اليوم .. لم يعد يستطيع أن يطلب ما يشاء كما اعتاد، بل عليه أن يجيب مطالب إخوته، وينسى نفسه، روحه الحلوة، رقة مشاعره، وخلاصة التجارب التى اكتسبها من قراءاته الكثيرة هوّنتْ عليه التضحية، بل زينتها فى عينيه .. ماذا كان يستطيع أن يفعل غير ذلك؟!، تنازل ــ رغمًا عنه ــ عن طريقه الأدبى المأمول، إتجه إلى التعليم الفنى الصناعى مختصرًا الطريق حتى ينقذ القافلة قبل أن تضيع فى شعاب الحياة.

ها هى ذى الأيام تعطيه بدلاً من القلم الجذّاب مفكًا، زرادية، طاقم مفاتيح، بدلاً من الورق الأبيض الناعم ــ الذى طالما حفّزه للكتابة ــ ورق صنفرة خشنًا باهتًا .. بدلاً من الحبر شحومات وزيوتًا .. بدلاً من القراء أسطوات وعمالاً .. عليه أن يقودهم، بازلاً قصارى جهده لينجز الإنتاج المطلوب فى المواعيد المحددة، وإلا ستكون العاقبة وخيمة، كان عليه أن يحوّل واقعه إلى لوحة جميلة فى هذه الحياة.

* * *

راح يكافح فى إصرار ليربىّ إخوته .. حتى حصل أصغرهم على نفس مؤهله، وصل الآخران إلى أعلى من

ذلك .. تفرقت القافلة؛ كل فى طريق، يسعى وراء رزقه وطموحه، تتجاذبه دوامة الحياة .. تباعدت اللقاءات بينهم .. ثم كادت أن تكون معدومة!

عاش وحيدًا متنقلاً من بلدة لأخرى وراء وظيفته، أملاً فى دخل أكبر، بعد أن تحطم القيد الذى طالما شد وثاقه، ما عدا تلك الشعرة الحريرية الرقيقة من ولعه القديم بالصحافة؛ فكثيرًا ما كان يعاوده الحنين أن يمسك بالقلم، يخطّ موضوعًا، خاطرةً، قصةً قصيرةً، يركنها فى ملف متآكل الأطراف فى مكتبه العتيق، وسرعان ما يحاصره اليأس فيكف عن الكتابة .. ربما ينسى ما خطّه .. تتداعى إلى أذنيه نغمة حزن دفين، تجولُ بخاطره صور، ذكريات، آمال، تلهب فى قلبه الحسرة، بينما صوت خفي يصيح فيه أن يعود، يردد ــ بينه وبين نفسه ــ : كل شيء مضى، انتهى، هيهات أن يعود .. تشرد خواطره رغمًا عنه، يضيع منه التركيز كلما همَّ بالكتابة .. يتساءل ــ بينه وبين نفسه فى حيرة ــ : هل لا يزال يحمل من معاناة ماضيه وقسوته ما يظلم حاضره ومستقبله؟!.. ربما لم يعد يحمل من شخص الماضى إلا القليل، حتى ملامحه أتتْ عليها تقلبات الزمن

فغيّرت منها، يعيش بين مدٍّ وجزر، بين ماضٍ عاشه طفلاً مدللاً فى كنف والديه بقريته، أو شابًا بذل ما فى وسعه حتى ربىَّ إخوته، وحاضر يعيشه وحيدًا فى مسكن رطب فقير .. يفكّر فى الزواج والاستقرار، فيرى الزواج أمام عينيه علامة استفهام كبيرة، تحيّر فكره، تظهر له الحياة فى أبسط صورها لغزًا.. لا يستطيع معايشة الواقع، كذلك لا يُؤازره الخيال، يظل مشتت الفكر، مبلبل الخاطر .. كلما مرّت الأيام تمتلئ حياته بالضباب، يتوه منه المرفأ الذى يجب أن يرسو عليه، فيزداد يأسًا فوق يأسه، يصير صريعًا بين يأس ممض وفراغ ممل .. لم يكن وضعه هذا بلا مضاعفات؛ فقد فتح باب مسكنه على مصراعيه لكل أصدقائه ومعارفه من ذوى النزوات الجسدية، صار مع الأيام واحدًا منهم، بل بزّهم؛ أصبحتْ له هو الآخر مغامراته الخاصة، رسّبتْ فى نفسه الحسّاسة تلك النظرة الخاطئة إلى الناس والحياة؛ فالحبُّ فى نظره وهم كبير، الشرف والأخلاق أقنعة يرتديها المرء أمام الآخرين، كلمات الحبِّ الرقيقة، لا تعبّر ـ فى نظره ـ إلا عن نداء الجسد للجسد، الحياة نفسها يراها عبثًا فى عبث، أو خداعًا فى خداع.

يصله خبر وفاة أمه فيسافر إلى قريتـه علـى جنـاح السرعة .. يصرّ أن يدخل قبرها ليوسّـد جـسدها التـراب بنفسه، فى المقبرة تتملكه هِزة عنيفة، ترجٌ جـسده النحيـف رجًا، تجتاح أعماقه، ينّز العرقُ باردًا من كل مسام جلـده .. تنفضُ نفسه ما علاها من صدأ، فينجلى معدنه، يشعر بلحظة صفاء فريدة، لم يذقْها منذ فترة، طالتْ أكثـر ممـا ينبغـى، تتبدى له الحياة برؤية جديدة، فيتمرد على حياته وما يتخللها من موبقات، حقًا: « إنك لا تهدى مَنْ أحببتَ ولكن الله يهدى مَنْ يشاء » .. يفتح ملفه القديم، يخرج بعض الموضـوعات وعددًا من قصصه القصيرة، يعرضها على أحـد أصـدقائه القدامى من هواة الأدب، يتحمس صديقه، يختار بعـضها .. ينسخها على الكمبيوتر، يرسلها إلى إحدى المجلات الأدبيـة المعروفة .. تتابع الأيام، وهو غير مصدق، بل كان مستخفًا بحماس صديقه، وتكاد تصل الأيام شهرًا أو تزيد، هو نفـسه كاد ينسى المسألة برمتها، منشغلاً برأب صـدعه الروحـى، وترتيب أوراقه فى ضوء رؤيته الجديدة للحياة والناس.

* * *

يا الله ها هى ذى أوراقه المهملة من سنين تنال حظها، تنشر إحدى قصصه القصيرة، مقدمةً بثناء طيب من كاتب مشهور، ينتشر الخبر فى جنبات المصنع، تتهادى إلى أذنيه عبارات التهانى كأنغام ناعمة حلوة، ترسخ فى أعماقه ثقته بنفسه، بالحياة، بالناس، راح يحاول أن يكتب من جديد، يحاول .. ويحاول فلا يستطيع!

العم إبراهيم

لم يقع فى روع أحد ما وصلت إليه حالة العم إبراهيم؛ بين ليلة وضحاها صار طريح الفراش .. حالتــه المرضـية تزداد سوءًا، رغم زيارة عدد من الأطباء، وعرضــه علــى مشاهيرهم فى المحافظة وعاصمة المحروسة؛ فهو أحد أعيان قريتنا؛ يملك محلاً تجاريًا، يتجر فى كل شيء، بدءًا بـالغلال والكيماوى ونهايةً بكل أنــواع البقالــة .. عُـرِف بالحــذر، وأشتُهر بين أهالى القرية بالبخل الشديد .. يخفى فلوسه فــى مكان ما، لا يعرفه جنٌ؛ خشية أن يعرف أحد عددها فيحسده أو يسرقه، لا يثق بأية بنوك أو مكاتب بريد، رغــم تحــذير أقاربه وأصدقائه ومعارفه من مغبة هذه الطريقة، يرد عليهم دائمًا بجملة لا تتغير أو تتبدل « أنا لا أثق إلا فى نفسى » .. رجل مقتدر، والمقتدر يصرف ــ كما يقولون ــ هو نفسه

قال لمن حوله، رغم ما أشتُهِرَ به من بخل: « خدوا فلوسى كلها وأنام ليلة واحدة مرتاح، وآكلها بملح».

لكن وطأة المرض تشتد عليه، تزيد آلمه، لا أحد يستطيع إنقاذه أو تخفيف آلامه، لا طبيب ولاَ غيره .. تتدهور حالته يومًا بعد يوم، الأمر الذى أدخل أولاده وأقاربه فى دائرة اليأس من شفائه، خاصةً بعد ما دخل العم إبراهيم فى غيبوبة متقطعة؛ يفيق لحظةً، ويغيب لحظات .. آخر طبيب زاره أجرى الكشف عليه، إطلع على نتائج التحاليل وصور الأشعة، سأل عن أكبر أبنائه، دنا منه، همس فى أذنه: « بصراحة حالة والدكَ شبه ميئوس منها، لا تزعل من صراحتى، ده رأيى، وهو يحتمل الخطأ والصواب، إنما إرادة الله تصنع المعجزات، عمومًا دبروا حالكم »، حمل حقيبته وانصرف، بعد أن دون فى روشتته فيتامينات، لا تنفع ولاَ تشفع.

فور انصراف الطبيب ارتكن الابن على أحد الحوائط، واضعًا رأسه بين يديه، وأجهش بالبكاء، اقترب منه إخوته وأمه، أحاطوا به، ربتوا فوق ظهره .. خمنوا ــ بينهم وبين أنفسهم ــ ما أسرَّ به الطبيب إليه، فأحنى الحزن رءوسهم،

إنهمرت دموعهم رغمًا عنهم .. تجرّأ أحدهم، ورفع صـــوته المخنوق بالبكاء: « ربنا كبير، وقادر يخلف ظنـــه» .. ســـاد الصمت لحظة كحد سكين .. بعدها بقليل اتـــصلوا بإخوتـــه وأقاربه وأصدقائه الحميمين .. شرعوا يفكرون بالفعل فـــى الإعداد للجنازة وتقدير مصروفاتها.

شق فجأة جدار الهمهمات صوت العم سعد الله ــ أحـــد الجيران المقربين لأبناء العم إبراهيم ــ متسائلاً فـــى جـــرأة وبساطة: « يا ولاد مفيش قدامنا إلا الاستـــسلام لقـــضاء الله وقدره، إنتوا عرفتوا أبوكو شايل فلوسه فين؟»، ردوا جميعًـــا فى نفس واحد تقريبًا: « لأ »، وبصوا لبعضهم، علّق العـــم سعد الله بنفس الجرأة والبساطة: « تبقى مصيبة لـــو مـــات ومعرفتوش فلوسه فين!»، أمام الناس ومـــا يحتمـــه الزيـــف الاجتماعى فى مثل هذه الأحوال، تظاهر الأولاد وأمهم بعدم اكتراثهم؛ فقالوا بنبرات ممطوطـــة، حرصـــوا أن يـــسمعها الحضور: « إحنا فى إيه ولاّ إيه يا عم سعد الله!؟، خلينا فى اللى إحنا فيه»، فقال العم سعد الله بصوت هادئ عاقل:

« يا جماعة الموت علينا حق، ربنا يجعلنا أموات ولاد أموات، إنما الحى أبقى من الميت!» ولما رأوا مدى اندهاشه

من سلبيتهم، إقترب منه أكبر أبنائه، همس فى أذنه: « يا عم سعد الله إحنا سألناه أكثر من مرة، وهو مش عايز يـصرح أو يلمّح بمكان الفلوس، ما إنت عارفه، دماغه حطبة، وبيشك فى صوابعه، الحقيقة اللى يعرف أبونا شايل فلوسه فين أخونا جمال؛ طول عمره سره معاه!»، على الفور قال العم سـعد الله:« وما سألتوش جمال ليه؟!» فقـال أحـد أبنـاء العـم إبراهيم:« ما إنت عارف جمال فى الجيش، وما يقدرش ياخد أجازة طول ما هو فى التـدريب»، قـال العـم سـعد الله: « بصراحة فى ظروف زى ظروفكو دى، والدار منداسـة، ممكن تحويشة عمر أبوكو تقع فى إيد واحد ابن حرام، ويبقى عليه العوض، وساعتها لا تلوموا إلا أنفسكم!».

أصاب الأولاد وأمهم قدر من الذعر، بدا على وجوههم وتلعثم ألسنتهم .. ضربت الأم على صـدرها براحـة يـدها ضربات سريعة قلقة: « يا خراب بيتك يـا إبـراهيم ... » حاول الحاضرون تهدئتها ببضع كلمات مواسية .. أحـاطوا بها فى ألفة وتعاطف، راحوا يعملون أذهانهم للخـروج مـن المأزق، الذى وضع العم إبراهيم فيه أولاده وزوجته .. قـال العم سعد الله: « متأكدين إن جمال عارف مكان الفلـوس؟»،

على الفور ردوا فى نفس واحد: « أيـوه » .. تفتـنق ذهـن عوض أبو سالم عن حل، فقال فى لهوجةٍ: « نجيـب واحـد يمثل دور جمال، يسأل العم إبراهيم عـن مكـان الفلـوس، وتتحل المشكلة »، مطّ العم سعد الله رقبته الطويلة كبجعـة، طوّحها يمنةً ويسرةً: « والله فكرة يا واد يا عـوض، يـسلم دماغكَ »، أبدى الأولاد وأمهم والحضور ارتيـاحهم لفكـرة عوض أبو سالم رغم أنهم لا يرتاحون له ويكرهونه لله فـى لله، راح الحضور ينبشون أدمغتهم بحثًا عن شاب فـى سـن جمال ابن العم إبراهيم، له عوده، ملامحه، ولـو كـان فـى الجيش ولديه بدلة ميرى يبقى خير وفضل مـن الله؛ فيكـون المشهد التمثيلى أمام العم إبراهيم أقرب ما يكون إلى الواقع، وبعيدًا عن أيه شبهة شك من الرجل الكتوم، حتى وهو يقارب النهاية! .. فجأة قالت الأم بصوت مبحوح: « مفـيش غيـر الواد رزق بن محمد أبو رزق» أمّن الأولاد على كلام أمهم: « أى والله صحيح، رزق كان مع جمال فى التجنيد، ولبـسوا سوا»، فقال العم سعد الله متعجبًا: «مستنين إيه؟!، إبعتوا لـه بسرعة، ولحسن حظكو هو فى أجازة، لسه شايفه من سـاعة بس عند المزين».

انطلق أولاد العم إبراهيم يقلّبون قريتنا عن رزق حتـــى أحضروه، مرتديًا بدلته الميرى، بعد أن أفهموه الدور الــذى سيقوم به، وشددوا على ضرورة إجادة تمثيــل الــدور وإلا ستكون العاقبة وخيمة .. فرّد رزق صدره العــريض، أخـذ نفسًا عميقًا، وكل الحضور فى حالة ترقــب .. إنتهــز رزق لحظة عودة الوعى للعم إبراهيم، دنــا منـــه فـــى خطــوات عسكرية، يدبّ بحذائه الميرى على أرضية الحجرة، توقّــف أمام السرير الخشبى العتيق، إنحنى على العم إبــراهيم، راح يقّبله فى خديه وجبهته، ويمسح على كتفيــه وشــعر رأســه بحنان زائف: « ألف سلامة عليك يا ابا، يا ريت أنا بــدالك يا ابا، أنا جمال يا ابا، ألف سلامة يا ابا »، صــمت برهــة خاطفة:« إنت شلت الفلوس فين يا ابا؟، حاشالها فى عينيــا، إنت عارف ابنك أوعى من الدم» وأجهش بالبكاء، قال مــن بين دموعه: «حاحطها بين لحمى وجلدى لما تقوم بالسلامة» رفع العم إبراهيم يمناه فى وهن شديد، وضعها فوق عينيــه، زرّهما محدقًا، والحضور كل الحضور فــى حالــة ترقــب وانتظار ملهوف .. ابتسم العم إبراهيم ابتسامة شاحبة، قــائلاً بنبرة واضحة: « أنا لسه ما تهتش يا واد يا رزق».



مجدى سمير، خليل سعد، فتحى داود، وأنا، هؤلاء هم الذين اختارهم مجلس إدارة نقابتنا، ليمثلوا مصر في المؤتمر العام للنقابات الفرعية فى الأقاليم العربية، الذى تقرر عقده فى عمّان ...

* **مجدى سمير:** ذكى، ودود، ذو صوت هادئ رزين، لا يخبر مظهره عن داخله، يحذق حرفيات مهنته، لا أحد ينكر تميزه فى مجاله، يحافظ فى علاقاته على مسافات متساوية وجميع الأطراف، حتى مع مَنْ يعارض أفكاره وتوجّهاته، دبلوماسية نحسده عليها فى مجلس النقابة، ربما تكون من أهم الأسباب لفوزه فى مجالس الإدارة دورات متتالية.

* **خليل سعد:** دقيق الملاحظة، ذو صوت جهورى، ما فى قلبه على لسانه، واثق من نفسه، صعب المـراس، جرئ فى طرح آرائه، حتى لو لم تنل قبولاً من أعـضاء المجلس .. يظل متمسكًا بوجهة نظره، يحـاور، ينـاور، يسوق الدليل تلو الدليل حتى يقنع من يعارضه .. لا تنتهى الجلسة إلا وقد استمال أغلب أعضاء المجلس لصفه، بـل نجد من يؤيده، ربما عدد كبيـر مـن أعـضاء الجمعيـة العمومية يعطونه أصواتهم، نكايةً فى أعـضاء المجلـس، الذين يمالئونهم فى الظاهر، ويحقدون عليهم فى الخفـاء، ينيبونه عنهم فى تعكير صفو رئيس المجلس! .

* **فتحـى داود:** ذكى إلى حدٍ ما، ذو صـوت حـاد النبرات، ميسور الحال، يجيد فن العلاقات العامة، يـردد دائمًا: (العمل النقابى أساسًا عمل خدمى)، ذو ضمير يقظ، يحبه الجميع، ويقدرون خدماته، هادئ السمت والطبـاع، لا ينفعل أو يحتد إلا إذا رأى الأمور تـسير فـى غيـر مسارها، لا يهدأ له بال إلا إذا اتخـذ المجلـس القـرار المناسب.

* * *

التقيتهم فى كافتريا مطار القاهرة قبـل موعـد إقـلاع طائرتنا بساعة تقريبًا .. سبقنا الزميل مجدى سمير .. أتـى بعدى بدقائق فتحى داود .. ثم خليل سـعد .. كـان مجـدى سمير يراجع مطوية برنامج المؤتمر؛ بقلمه الأنيـق يـضع خطوطًا، علامات استفهام، علامات تعجب . جلـس فتحـى داود هادئًا كعادته يحتسى قهوته المـضبوطة، ويـزمّ بـين حاجبيه بين حين وآخر .. أما خليل سعد فكان يرتشف شـايه متوترًا، ويسحب الأنفاس من سيجارته بعمق .. أنـسل مـن بيننا، تابعته بنظراتى .. راح يحادث رجلاً حليـق الـرأس والشارب، يضع على عينيه نظارة طبية سميكة ـــ خمنتُ أن يكون أكاديميًا أردنيًا ـــ مدفوعًا بحب الاستطلاع نهضت.

اتجهت إليهما .. قبل أن أصل تقدّمَ نحوى خليل سـعد والابتسامة تتراقص على شفتيه:

ـــ ابسط يا عم، مسموح بدخول الخمور الأردن.

لم ينتظر منى ردًا أو تعليقًا، جذبنى من يدى، واضـعًا يده الأخرى على كتفى فى ودٍّ لم أتعوده منه .. نظـر إلـى مجدى سمير وفتحى داود نظرة ذات معنى ففهما على الفور، نهضا؛ يبدو أن بينهم لغة مشتركة؛ تجمع بينهم زمالة طويلـة

أشبه بصداقة، فضلاً عن اشتراكهم معًا فى سفرات عديدة .. تقدّمنا خليل سعد إلى السوق الحرة .. راحوا يتفقدون أنـــواع الخمور، مصادرها، أسعارها، وأنا بيـــنهم أقلّـــبُ نظراتـــى مندهشًا .. عرفت ـــ لحظتها ـــ وأنا أكثر دهـــشةً أن لـــديهم خبرة جيدة بأنواع الخمور .. اشترى كل منهم زجاجة، وضع البائع كل زجاجة فى شنطة بلاستيكية أنيقة، تمنى لهم سلامة الوصول، وقضاء ليلة جميلة فى عمّان وهـــذه الخمـــور .. لحظتها رأيت نفسى بينهم نغمة نشاز فـــى لحـــن متـــساوق الأنغام، أبدو ثقيل الظل، ربما يظنوننى بخيلاً، فملـــتُ علـــى خليل سعد هامسًا قبيل أن نغادر السوق الحرة:

ـــ اختار لى قزازة من النوع الخفيف الهادى أجرّب بس!

ـــ يا اا حبيبى! أيوه كده، اظهر وبان!

على عينى يا أبو الأعواض.

فى أقل من ثلاث دقائق دخل وأحضر زجاجة، وضعها أمام البائع، فوق الكونتر، والابتسامة تملأ وجهه:

ـــ حاسب يا باشا، عشرة دولار بس.

قرأ فى وجهى ما ينبئ عن ارتفاع السعر، فمـــال علىَّ هامسًا:

ــ يا راجل ما تــبخلش، دا النقابــة صـــرفت لـــك مصروف جيب مئة دولار عن اليوم، عيش بقى!

نقدت البائع العشرة دولارات فـــى صـــمت، وضـــع الزجاجة فى شنطة بلاستيكية شيك، ونحـــن نهـــمّ بمغـــادرة السوق الحرة، وضع خليل سعد يده على كتفى هامسًا:

ــ ده نوع حايخليك فوق السحاب، فوق.....

سرعان ما نُودى على رقم رحلتنا واتجاهها .. صعدنا سلم الطائرة، أول مرة أستقل طائرة، لا أدرى لـــمَ تـــذكرتُ كلام موسيقارنا محمد عبد الوهـــاب وخوفَـــه مـــن ركـــوب الطائرات فاعترانى نوع من الاضطراب، شعور امتزج فيـــه الخوف بالسعادة، قرأتُ، أنصتُ باهتمام زائد إلى التعليمات، كدتُ أحفظها .. فى البداية سارت الطـــائرة علـــى مـــدرج الطيران فى بطء .. راحت تزيد من سرعتها شـــيئًا فـــشيئًا، أخذت ترفع مقدمتها، تحلّق فتسارعت دقات قلبى، أحســـستُ أن روحى تنسحب منى، لكن بعد دقائق قلائل وجدت نفـــسى على ما يرام .. لحظة طالت قليلاً، رأيتنى فوق الـــسحاب .. فوق، حينها قلت ــ فى سرى ــ وأنا أتظارف مـــع نفـــسى: لِمَ اشتريتُ زجاجة الخمر، وهأنذا ــ دونَ أن أتذوّق جرعـــة

واحدة ــ صرتُ فوق السحاب فعلاً؟! .. رحت ابتسمُ لنفسى، ربما شك مَنْ يجاورنى فى قــواى العقليـــة .. بعـــد ســـاعة ونصف تقريبًا كنا فى مطار الملكة عالية ننهـــى إجـــراءات الوصول .. استقبلنا هناك زميلان أردنيان بحفاوة.

* * *

بعد قليل كنا فى استقبال فندق القدس، فى تلك اللحظـــة أبلغنا ــ على استحياء ــ أمـــين عـــام المـــؤتمر بنفـــسه أن المؤتمر تأجّل يومًا واحدًا لظروف طارئة، تتعلّـــق بجلالـــة الملك، الذى سيفتتح الفعاليات.. آهٍ، معنى ذلك أننـــا ســـنظل ملازمين الفندق الغد كله ــ هكذا تصورتُ ــ فـــى (الكـــافى شـــوب) احتـــسينا شـــايًا، دارت بيننـــا بعـــض أحاديـــث خاطفة .. صعدنا إلى حجراتنا، كنت مُرهقًا فغلبنى النـــوم .. لم أستيقظ ــ تقريبًا ــ إلا فى الحادية عشرة صباحًا، طرقتُ أبواب حجرات زملائى الواحد تلو الآخر، لم يجبنى أحـــد .. نزلت لأسألَ ، قبـــل أن أهـــمَ بالـــسؤال بـــادرنى مـــسئول الاستعلامات ــ وكأنه يعرفنى ــ بقصاصتين مـــن الـــورق: الأولى: (ذهبنا إلى دمشق، فرصة، وسنعود مساءً، خليـــل .. فتحى). الثانية: (تناولت إفطارى مع خليل، وفتحى، عرفنـــا

أنك نائم فلم نشأ إزعاجك، سأقضى اليوم مع صديق أردنـــى، سأعود المغرب. مجدى) يا أولاد الكلب؛ تركتونى وحدى فى الفندق أغني (ظلموه)! .. تحتم علىّ أن أقضى اليوم بطولـــه وحيدًا فى حجرتى؛ فأنا لا أعرف مكانًا أو أحـــدًا فـــى هـــذه المدينة، التى تتسلق هضابًا وتلالاً، تتجمـــل فـــى مـــساحات هندسية خضراء، لها طابع البداوة.

قعدت أمام التليفزيون أشاهد ـــ مُجبرًا ـــ برامج ساذجة مكررة، وأتابع أخبارًا عربية محزنة .. أقلّب القنوات، انتقّـــل بين الفضائيات، أشرب زجاجة كوكاكولا، أحاول النوم فـــلا أستطيع .. أحاول تسلية نفسى بالنظر مـــن النافـــذة، فـــأرى مساحات خالية وأشخاصًا قليلين فأصاب أكثر بالملالة؛ فأنـــا أحب الزحام، الناس، الونس .. ضقتُ نفسًا، ثقل الملل ينهـــك قواى، يرمينى فى هوة زهق ممض .. مرت لحظـــة طالـــتْ أكثر مما ينبغى .. فجأةً لمعت ذاكرتى فامتددت يدى وضربت جبهتى، يا ااه، زجاجة الخمر؛ ما صُـنِعتْ إلا لمثـــل هـــذه الأوقات الممضة، من الثلاجة أخرجتها، رحتُ أمني نفـــسى بوقت ممتع؛ أسبح فيه ورشفات الخمر فوق السحاب .. فوق، قبل أن يأتى أولئك الصِيع، بحثت عن كـــأس فلـــم أجـــد ..

لا بأس، سأشرب من الزجاجة مباشرةً، وملعون أبو الإتيكيت أتحسس جسد الزجاجة فأشعر ببرودة ناعمة حنون، قطـرات الخمر تلمع، تغرى ـ بالتجربة على الأقل ـ استطعتُ فـتح الزجاجة بعـد محـاولات، وبـصعوبة .. وضـعتها علـى الترابيزة، شمس الأصيل تنعكس على الزجاج فـى جمـال آخّاذ، وقرص الشمس فى الخارج تأخذه بيدكَ دون عناء .

* * *

رحت أعبُ من الزجاجة كمـا أعـبُ مـن زجاجـة كوكاكولا، أحسستُ بحرقان فى حلقى، لم أبالِ، رحت أعـبُ ـ فقد أكّدَ لى خليل سعد أنها من النوع الخفيف الهـادئ ـ بعد لحظة طالت قليلاً شعرتُ برأسى تتملُ، سـخونة تلهـب أذني، أسراب النمل تسبح فى دمـى، فـوق صـدرى ثقـل لا مرئى يضغط .. حاولـت أن أتحـرّك فاختـل تـوازنى، سقطت، كدت اصطدم بحافة الترابيزة لولا ستر الله وكرمـه .. جلستُ على الأرض متخذاً شكل تمثال الكاتب المـصرى .. نظراتى تزوغ، تشرد .. سقف الحجـرة يعلـو يهـبط .. المسافات بينى وبين أثاث الحجرة تتباعد، تتقارب، بل تتناسخ فى تحدٍ، دائخ أنا، والثقل اللامرئى فوق صـدرى يـضغط،

يضغط .. أموت فى جلدى، استغيث فلا من مغيث .. حذائى يخرج لى لسانه ساخرًا .. الله يخرب بيتك يا خليل زفت؛ لقد غررتَ بى، يبدو أننى سأعود إلى بلدتى فى صندوق، تصبح فضيحتى هناك بجلاجل! .. بمشقة بالغة زحفت حتى وصلت إلى باب الحجرة، تساندت عليه، تشبثتُ بمقبضه حتى فتحته، لا أعرف كيف؟!، حاولت ـــ جاهدًا ـــ أن أصـــلب طـــولى فسقطت مرةً أخرى، فكان نصفى العلوى خـــارج الحجـــرة، والنصف السفلى داخلها، حدقتا عينى تتـــسعان، لا أعـــرف كيف؟! .. رأيت رؤية مَنْ هو بين النوم والْيقظة مجدى سمير يقف فوق رأسى، إنحنى علىّ ورعب الدنيا علـــى وجهـــه، وضع ذراعيه تحت إبطى، شالنى بصعوبة، حطنـــى علـــى السرير .. يتلّفت حوله، يفتح فمه ويغلقه دون أن يفوه بكلمة، يفتح الثلاجة ويغلقها بلا مناسبة.

أشرت إليه أن أذهب إلى الـــ W.C .. شالنى، وضعنى فوق قاعدة الحمام ، بعد أن خلع سروالى .. وضع إصـــبعه فى فمى، حرّكه ملامسًا سقف حلقى حتـــى أفرغـــتُ قـــدرًا ملحوظاً ممّا فى جوفى، فى الوقت نفسه أشتد علىّ الإســـهال .. شعرت بصداع فى مؤخرة رأسى، خمول فى كل جسدى،

وزغللة فى عيني.

نظر مجدى سمير فرأى أكثر من نصف الزجاجة فارغًا؛ ضرب كفًا بكف قائلاً فى دهشة:

ـ سك يا عوض؟!، سك؟! صحيح فلاح الله يلعن أبو الجهل.

نظرت إليه مُبتسمًا خجلاً .. ورحت فى نوبة ضحك، فذهب الرعب عن وجهه، بل رحنا نقهقه معًا.

نَـــزْف

أكثر من سبعة أشهر تلبد فى حضنه ساخنةً ملتهبـــة ..
ذاقت عسيلته فاستمرأت الوجع اللذيذ، عـــشقته؛ أكثـــر مـــن
ممارسة فى الليلة الواحدة .. فى لحظات المباسطة تتهـــامس
وصديقاتها الحميمات بما يحدث بينهما، فيمررن ألسنتهن على
شفاههن تلقائيًا، وينظرن إليها بحسد .. راحت تخطط بخبـــث
لإشباع نهمها .. تتمادى فى الممارسة وهذا الفلاح الغـــشيم،
عوضًا عن حرمان طال جسدًا أثقلتـــه العافيـــة، عفرتتـــه ..
يستكين بين أحضانها الدافئة كمنوَّم، فتتمـــادى أكثـــر، وهـــو
لا حول له ولاّ قوة؛ تملكت مفاتيح جسده الغفل .. لـــم يعـــد
يستطيع فراقها .. نسى نفسه، أهله، أصـــدقاءه؛ إذ صـــارت
ـــ فى نظره ـــ هى نفسه وأهله وأصدقاؤه، بل الدنيا كلها ..
احتوته تمامًا، وراحت تنهل .. حينما استغرقه نهـــر عـــسلها
اكتشف فى أعماق نفسه أيامًا ملحية متكلـــسة .. راح يتأمـــل

ـ بينه وبين نفسه ـ أحداث تلك الأيام فى خزن وحسرة .. ويشرد بعيدًا .. بعيدًا، يعقد العزم على تعويض كل ما فاته.

رغم الغذاء الجيد هزل جسده، ذبلت عيناه، شجرة نضرة سرقها الخريف على غير أوان؛ فأصفرت أوراقها، تساقطت، داستها الأقدام .. فى آخر ممارسة قذف دمًا، أرعبته رؤية الدم، فدفعها بكلتا يديه:

ـ يخرب بيت أهلك، أنت شبطة؟!

فى الصباح ـ رغم أنه أخذ قسطًا وافرًا من النوم ـ شعر بضعف عام، إعياء ملحوظ وزغللة .. كان لابد من استشارة طبيبه ومصارحته بكل شيء .. نظر إليه الطبيب وابتسم ابتسامة ذات معنى، هزَّ رأسه أكثر من مرة، قطّبَ بين حاجبيه برهةً خاطفة .. قال فى لهجة جافة قاطعة:

ـ إفراط لا داعى له.

قال مأخوذًا:

ـ والحل يا دكتور؟! أنا ...

قاطعه فى جدية:

ـ ممنوع الجنس؛ أقصد ممارسة الجنس، ست شهور على الأقل، تسترد صحتك أولاً، ويبقى لنا كلام تانى!

بصراحة أنتَ حاليًا ...

لم يكمل، لكنه أردف:

ــ الإنسان حكيم نفسه.

نظر له نظرة، تحمل قدرًا من عدم الرضا .. راح يحدد له ــ شفويًا ــ نظامًا غذائيًا خاصًا .. دوّن في "الروشتة" بعض المقويات والفيتامينات، وأنهى الزيارة قائلاً:

ــ دى أدوية غالية شوية، لكنها مفيدة لحالتك.

صمت لحظة خاطفة .. نظر إليه نظرة تحمل قدرًا من التحذير:

ــ العبرة بقوة عزيمتك.

راح ينفذ تعليمات طبيبه بحذافيرها، وكلما تراءى له شبح الموت، ازداد إصرارًا على تنفيذ تعليمات الطبيب بمنتهى الدقة .. لكنه بعد يومين فقط شم نفسه، أخذ يسترد عافيته، فغالبه الحنين إلى جسدها الدافئ الساحر، فاندفع إليها كمنوَّم، وبالفعل نسى كل شيء!

عطـــــش

عند مشارف قريته نزل دون أن يعرفه أحد، أو يرحب به، نقد السائق أجرته، شعر بشجن، لكنه سرعان ما استشعر سرورًا فى نفسه لعودته، بعد أكثر من عشر سنوات غربـــة، كل شيء بدا فى عينيه جميلاً طيبًا، رائحـــة الأرض، هـــواء قريته، روائح أطعمة العشاء، الناس، الأشجار، الحيوانـــات، المساحات الخضراء والجرداء .. الهواء مُنسم بعبير الفـــل، نبات ذيل القط تحت الأشجار المتناثرة على حافة المـــصرف الكبير، يداعبه نسيم العصارى برقة ونعومة .. تنفس بعمـــق يعبّ رائحة بلده .. سُرّ فى نفسه، لم يحس بهـــذا التجـــاوب والطبيعة منذ سنوات، طالـــت رغمًـــا عنـــه .. الآن يحـــسّ بالسعادة لمجرد تشممه رائحة الغيطان، رائحة لـــم تخطئهـــا حاسته قط، أحسّ الهواء نقيًا لطيفًا فى تلك الساعة حتى أنـــه شعر، وهو يخطو نحو قريته بروعة الطبيعـــة، هنـــا حيـــاة

حقيقية، حياة بلونها الأصيل، هنا الإنسان، الجوهر، البكارة، فى هذا المكان يعيش الإنسان آمنًا.

يتلهف أن يشرب من ماء بلده، أن تكون ظمآن وتروى بماء بلدك فهذا أجمل ما فى الحياة .. شال بعينه فرأى على بعد أمتار عجوزًا، فى يدّه خرطوم يسقى به حوضين صغيرين من البامية، أمام داره فى طرف القرية، قاده ظمؤه إلى العجوز .. قال بهدوء، وابتسامة تكسو وجهه:

ـ السلامو عليكو، ممكن أشرب يا حاج؟!

استدار العجوز إليه ببطء، وقد سقط ظله الضخم على أوراق البامية، ردَ السلام، ناظرًا إليه، متفحصًا ملامحه فى شيء من التوجس، بسرعة ضمَ الشاب كفيه:

ـ هنا يا حاج.

قال العجوز، وهو يضع الماء فى كفى الشاب مفتخرًا، بعد أن ظنَّ أنه غريب عن البلدة:

ـ دى مية بلدنا سكر، فشرت المية المعدنية.

بينما كان العجوز يثرثر، أخذ الشاب يستمع إلى صوت الماء المتساقط على الأرض، يتساقط بقوة ووضوح .. يتغلغل فى بطن الأرض بتؤدة وحنان.

قال الشاب للعجوز، بعد أن أخذ نفسه:

ـ صدقت يا حاج مية حلوة بجد.

أحنى رأسه للماء المتساقط، راح يعبٌّ، أدهشه مذاق الماء، كأنه يذوقه لأوّل مرة، سريان الماء فى جوفه ينعش كيانه كله، نفسه، جوارحه، روحه.

أدار رأسه للعجوز، وهو يأخذ أنفاسه اللاهثة:

ـ والله .. أهالى .. البلد دى .. محظوظين بصحيح.

خفض رأسه للماء، وأخذ يرتشف الرذاذ المتطاير، وهو جذلان، فجأةً شعر أن معدته لا تستطيع أن تتحمل أكثر، رغم أنه كلما شرب أحسَّ بمذاق الماء أكثر حلاوةً، وازدادت رغبته فيه، إندهش العجوز:

ـ يا ابنى كده بطنك توجعك!

لم يبال بكلام العجوز، طفق يعبُّ الماء عبًا .. التفتَ فى بطء للعجوز:

ـ أعذرنى يا حاج، المية لذيذة، حلوة .. حلوة!

مسح الشاب فمه، وهو ما يزال راغباً فى الشرب..

قال: ـ بينه وبين نفسه ـ الحنين إلى هذه القرية هو حلاوة هذه المياه، وعذوبتها.

قال العجوز مندهشاً:

ـ دا إنت يا ابنى كنت حتموت من العطش؟!

قال الشاب فى تأثر واضح، وقد بدأ قلبه يخفق بشكل غير عادى: أكتر من عشر سنين ما شربتش المية دى، لسه راجع النهارده، أنا يا حاج مولود هنا.

صمتَ لحظةً خاطفة .. أردف فى هدوء:

ـ والله مافيش أحسن من إن الواحد يعيش فى بلده بين أهله وناسه، ورزق هنا رزق هناك.

أمال رأسه لرذاذ الماء المتطاير، إرتشف رشفة خاطفة، رفع يده شاكراً.

قال العجوز دون أن تفارقه دهشته:

ـ إنت ابن مين يا بنى؟!

فى سرعة نظر الشاب أمامه دون أن يردَ أو يلتفت إليه أدنى إلتفاتة، فقد وقع فى روعه أن كل الآباء فى البلدة مثل هذا الحاج هم آباؤه وأهله، راح يوسّع خطواته فى سرعة متجهًا إلى القرية، يدندن بأغنية شعبية قديمة، والعجوز خلفه يحملق فى ظهره، ضاربًا كفًا بكف.

السقوط لحظة

رغم ميله للتمرد منذ صغره وتورطه ـ أحيانًا ـ فى مشاكل صغيرة، مدفوعًا بحب الاستطلاع لخوض التجربة، أية تجربة، لم يذق الخمر .. شاهد سكارى على شاشة التليفزيون وشاشات السينما، لم تغره مشاهدتهم بخوض التجربة .. ربما بحكم نشأته فى بيئة ريفية محافظة، أو إيمانه بـ « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ..».

مشكلة الإنسان هذا الشيطان؛ يختار لحظات ضعفه بمهارة فائقة؛ يظل يوسوس ويوسوس فى أذنيه، ينصب أحبولاته، يتفنن فى غواياته، فيسقط فى المصيدة مثل فأر.. بسبب تلك اللحظات الزلقة تمتلئ أعمدة صفحات الحوادث، وتُخرَّب بيوت.

لمســة

لم أرها من زمن، وحينما لمستْ كفى كفهــا الرقيــق الحنون شعرتّ بدفــء، راح يسرى فى جسدى كله، لم أحسّه منذ فطامنا العاطفى القسرى.

ها هو ذا الحبُّ القديم ينبض من جديــد علــى غيــر موعد.. يصحو .. عشتّ معه أجمل سنى عمرى.

كانت فتاة فريدة بحق، جميلة الطلعة، رقيقة كنــسمة، حريرية اللمسة .. آهٍ، ها أنا ذا أسرج حصان الذاكرة.

وتروح مخيلتى تسترجع عبق تلك الأيام الخضراء فى قريتنا لحظة بلحظة .. وذكرى بذكرى.

الفأر الذكى

قصة يمكن أن يقرأها الأطفال والكبار

خرج فأر صغير من جحره غاضبًا من أهله، ظل يتجوّل فى المكان حرًّا سعيدًا هكذا شعر .. بعد فترة أحس بالجوع، راح يبحث عن غذاء يأكله، لم يجد شيئًا، راح يجرى هنا وهناك، والجوع يشتد عليه .. فكّر أن يعودَ إلى الجحر، ويعتذر لأهله، فيأكل ويشبع وينام آمنًا، لكن الفأر عزتْ عليه نفسه، فرفض فكرة العودة إلى الجحر، وراح من جديد يجرى هنا وهناك، باحثًا عن شيء يأكله .. أى شيء .

فى تلك اللحظة رآه قط كبير، ضخم الرأس، ناعم الشعر، ذو عينين خضراوين، إرتبك الفأر حينما رآه، وسرعان ما ظهرتْ على وجهه علامات الرعب فقفز القط

بسرعة قفزة كبيرة، وسد الطريق أمام الفأر، فوقف الفأر مرعوبًا حائرًا.

أقعى القط، وراح يصوّبّ نظرات قوية حادة إلى عينيّ الفأر، إشتد الرعب بالفأر، فتجمدت أطرافه، تعطلت حركته تمامًا .. فى لحظة خاطفة قفز القط قفزته المفاجئة، وركب الفأر المرعوب، ضغط عليه بمخالبه ضغطةً خفيفةً وتركه، ثم ضغط ثانية ضغطة قوية لم تمته، ثم حمله بين أسنانه الصغيرة اللامعة، سار بخّيلاء فى خطوات متمهلة، سعيدًا بصيده، راح القط يُمنى نفسه بوجبة لذيذة، والفأر يصرخ بين أسنانه، والقط لا يستمع إليه، ولا يرق قلبه لدموعه المنهمرة.

أدرك الفأر أن الصراخ والبكاء لا يفيدان، وأنه لو ظل على هذه الحال فهو هالك لا محالة، فكف عن الصراخ والبكاء على الفور، راح يفكر ويفكر بسرعة فى حيلة، يفلت بها من بين أسنان هذا القط المتوحش .. لكن كيف؟! .. فكّر وفكّر، استجمع تفكيره وركّز جيدًا، بسرعة بادر القط قائلاً:

" أيها القط العظيم أرجو أن تسمعنى جيدًا .. أنا فأر صغير ضئيل الحجم كما ترى، فإذا أكلتنى فلن أُشبعك .. وربما ستظل سيادتك جائعًا أيامًا أخرى حتى تجد صيدًا يليق

بسيادتك ويشبعك، أنا فى الحقيقة مِنْ عائلة كبيرة من الفئران السمان، توجد فى هذا الجحر، متخاصم معها، أكرهها كرهًا شديدًا ولا يهمنى إلا نفسى، فاتركنى أدخل الجحر لأُشبعَ تلك الفئران السمان عضًا ونهشًا .. ثم أجرى خارج الجحر إلى هنا، وبالطبع ستجرى تلك الفئران السمان ورائى .. فى تلك اللحظة تستطيع أن تصطاد منها ما يحلو لك بكل سهولة، فتأكل حتى تشبع".

دون أن يحرّك القط ذهنه صدّقَ الفأر، بل وجده رأيًا معقولاً وسببًا وجيهًا، فترك الفأر يدخل جحره بسلام، مُمنيًا نفسه بوجبه دسمة من الفئران السمان.

ظل القط أمام الجحر، ينتظر خروج الفأر ووراءه الفئران السمان .. إنتظر .. وإنتظر .. حينما طال الانتظار بلا فائدة نفد صبر القط فنادى بأعلى صوته:

ـ "أيها الفأر .. أيها الفأر الصغير، أخرج، أخرج، .. أين الفئران السمان؟! .. أين أنت أيها الفأر الجبان؟!"

جاءه صوت الفأر الصغير ـ من داخل الجحر ـ قويًا واضحًا: "أيها القط الغبى، أيها الأنانى الطمّاع قد تصالحنا، فاذهب، وابحث لك عن فئران أخرى متخاصمة"!

السيرة الذاتية

**** حسن الجـوخ**

* قاص وناقد أدبى ـــ مصر.

* ولد ونشأ بريف الدقهلية، شب وتعلّم وعملَ بمدارس القاهرة.

* يقيم حاليًا بالقليوبية.

* حاصل على ليسانس اللغة العربية وآدابها عام ١٩٨١م، والـدبلوم العام فى التربية عام ١٩٨٧م من جامعة عين شمس.

* عمل وتعلّم فى آنٍ معًا.

* الوظيفة الحالية: مدير تحرير مجلة (الرواية) التى تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، ويرأس تحريرها الناقد المعروف: عبد الرحمن أبو عوف.

* يكتب القصة القصيرة والمقال النقدى والدراسة النقدية بالعديد من الصحف والدوريات الثقافية المصرية والعربية.

* أذيعت قصصه القصيرة المؤلفة والمترجمة فى إذاعة البرنامج الثقافى، كما نفذت دراميًا بعض قصصه فى إذاعات: (البرنامج العام، الشعب، القاهرة الكبرى).

* انتدب مديرًا عامًا لإدارة الثقافة العامة بالهيئة العامة لقصور الثقافة مدة عام ٢٠٠٠م.

*عمل مديراً لتحرير سلسلة (آفاق عربية) التى تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة خلال الفترة من يوليو ٢٠٠١م حتى ٢٠٠٦م.

* حصل على منحة التفرغ من الدولة فى مجال الآداب لعام ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م، كتب خلالها مجموعته القصصية: "الطافش".

* حصل على جائزة نادى القصة بالقاهرة للمجموعة القصصية المنشورة لعام ٢٠٠٧م .

* شارك في العديد من الفعاليات الثقافية داخل مصر وخارجها من أبرزها:

* المؤتمر الأول للقصة القصيرة، الذى نظمه نادى القصة بالقاهرة يونيو ٢٠٠٦ وقدم بحثًا علميًا ضمن محاور المؤتمر بعنوان:

"تداخل الأجناس الأدبية مع القصة القصيرة".

* مَثّل مصر فى الأسبوع الثقافى الأردنى المصرى بعمان أبريل ٢٠٠٠م، وقدّم ورقة بحثية بعنوان:

"القصة القصيرة المعاصرة فى مصر .. واتجاهاتها الفنية".

* مَثّل مصر فى المؤتمر العام لاتحاد الكُتّاب والأدباء العرب بالخرطوم يناير ٢٠٠٥، وقدم بحثًا علميًا ضمن محاور المؤتمر العام بعنوان: "الموروث السردى للقصة القصيرة فى التراث العربى".

* كُتِبت عن قصصه ودراساته النقدية العديد من المقالات والدراسات النقدية، نشرت بالصحف والدوريات الثقافية والكتب النقدية.

* عضو مجلس إدارة اتحاد كُتّاب مصر منذ ثلاث دورات ولا يزال.

*عضو عامل بنادى القصة بالقاهرة وآتيليه القاهرة وجمعية الأدباء.

صدر للكاتب

* السيف والوردة ــ قصص قصيرة ــ يوليو ١٩٨٨ ــ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* السِّمْر ذوو العيون الذهبية ــ قصص قصيرة مختارة من الأدب الإنجليزى والأمريكى ــ مترجمة عن الإنجليزية، بتقديم للدكتور: ماهر شفيق فريد ــ يناير ١٩٩٤ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* الجدَّة حميدة ــ مجموعة قصصية ــ مايو ٢٠٠١ عن سلسلة الكتاب الفضى التى يصدرها نادى القصة بالقاهرة، كما صدرت طبعة ثانية فى مشروع مكتبة الأسرة عام ٢٠٠١.

* أوراق ومسافات ــ دراسات وقراءات فى الأقصوصة المصرية المعاصرة ــ مارس ٢٠٠٢ عن سلسلة كتابات نقدية ــ العدد ١٢٠ التى تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة.

* زائر النّهار ــ مجموعة قصصية ــ مايو ٢٠٠٥ ــ عن سلسلة أصوات أدبية العدد ٣٥٨ التى تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة. فازت هذه المجموعة بجائزة نادى القصة بالقاهرة للمجموعة القصصية المنشورة لعام ٢٠٠٧ م.

* الطافش ــ مجموعة قصصية ــ مؤسسة سندباد للنشر والإعلام بالقاهرة ديسمبر ٢٠٠٩.

المحتـــوى

قائمة إصدارات سندباد للنشر ٢٠٠٩

١ ــ بالوظة ــ فؤاد حسين ــ مصر ــ قصص

٢ ــ المايسترو ــ محمود ماهر زيدان ــ مصر ــ قصص

٣ ــ الرقص تحت المطر ــ حسن البقالي ــ المغرب ــ قصص

٤ ــ الولد الذي تخطى السور ــ جهاد الرملي ــ مصر ــ قصص

٥ ــ كأس بيرة ــ سهيلة بورزق ــ الجزائر/ أمريكا ــ قصص

٦ ــ رجل مجنون، هل فعلا أحبه؟! ــ فادية إبراهيم ــ مصر ــ قصص

٧ــ للعشق وجه آخر ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر

٨ ــ مطعم اللحم الآدمي، يرحب بكم/ الحسن بنمونه/ المغرب/ قصص

٩ ــ طوفان ــ إسماعيل البويحياوى ــ المغرب ــ قصص

١٠ ــ شاطئ الحنين ــ عزة دياب ــ مصر ــ قصص

١١ ــ دعوة للحب ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر

١٢ ــ ترانيم الغروب ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر

١٣ ــ العزف على أوتار الألم ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر

١٤ ــ درة الشرق ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر

١٥ ــ بأسنة الرماح ــ شوقي مسلمانى ــ لبنان/ أستراليا ــ قصص

١٦ ــ النقش بالحناء ــ حنان كوتاري ــ المغرب ــ قصص

١٧ ــ إلي رجل قد يأتي ــ روزمين الصياد ــ السودان ــ شعر

١٨ ــ عشيقة عرابي ــ محمد السنباطى ــ مصر ــ رواية

١٩ ــ مقهى فدوس حنين ــ رضا عودة ــ مصر ــ رواية

٢٠ ــ قواعد الميراث ــ إبراهيم نسيم ــ مصر ــ دراسة

٢١ ـ مرايا الغروب ـ فوزية دياب ـ مصر ـ شعر

٢٢ ـ مسافرة للصمت ـ فوزية دياب ـ مصر ـ شعر

٢٣ ـ زينب وأخواتها ـ د. فاطمة فوزي ـ مصر ـ قصص

٢٤ ـ أرض الميت ـ هشام آدم ـ السودان ـ رواية

٢٥ ـ أنهار لا تعرف الخوف ـ د. جمال مرسي ـ مصر ـ شعر

٢٦ ـ اعترافات الورد والشوك ـ د. إيهاب سلام ـ مصر ـ رواية

٢٧ ـ أجنحة صغيرة ـ سمية البوغافرية ـ المغرب ـ قصص

٢٨ ـ إعصار الحب ـ حمدي الهواري ـ مصر ـ شعر

٢٩ ـ أزمنة الرحيل ـ صلاح خليفة ـ السودان/ أمريكا ـ شعر

٣٠ ـ بنات الخرطوم ـ سارة منصور ـ السودان/ أمريكا ـ قصص

٣١ ـ نور في بداية النفق ـ لمي منير ـ العراق ـ قصص

٣٢ ـ التي في خاطري ـ حسن حجازي ـ مصر ـ شعر

٣٣ ـ إفلاس دولت ـ أماني الشرقاوي ـ مصر ـ قصص

٣٤ ـ قراءة في أبجديات مغتربة ـ صالح الهنيدى ـ السعودية ـ شعر

٣٥ ـ وطن اسمه آفيفان/ بدل رفو المزورى/ كودرستان العراق/ شعر

٣٦ ـ تراتيم للشوق والعذاب ـ أحمد فتحي ـ مصر ـ شعر

٣٧ ـ عيون الفجر الزرقاء ـ إدريس الجرماطى ـ المغرب ـ رواية

٣٨ ـ حبيبتي تفتح بساتينها ـ محمود قحطان ـ اليمن ـ شعر

٣٩ ـ بيت فنانة ـ صفاء عبد المنعم ـ رواية ـ مصر

٤٠ـ اللجوء السياسي..الملف الأسود/ سارة منصور/ قصص/ السودان

٤١ ـ مِعْرَاجٌ لِسَمَاءٍ تَحتَرِقُ ـ تُقَى المُرسِي ـ مصر ـ شعر

٤٢ ـ أسرار الليل ـ إدوارد فيليبس ـ مصر/ أمريكا ـ قصص

٤٣ـ ليلة الحب الأخيرة ـ محمد الكاشف ـ مصر ـ قصص

٤٤ـ أمريكاني من حي الزبالين/ إدوارد فيليبس/ مصر/ أمريكا ـ مسرحية

٤٥ــ الطافش ــ حسن الجوخ ــ مصر ــ مجموعة قصصية
٤٦ــ طُلي ثريات البشارة ــ وحيد عبد الخالق راغب ــ مصر ــ شعر
٤٧ــ عُصنعُص ــ فرج محمود ــ مصر ــ رواية
٤٨ــ الآباء ليسوا ملائكة ــ زهرة جقريف ــ الجزائرــ رواية
٤٩ــ مثل فيل يبدو عن بعد/ حسن البقالي/ المغرب/ قصص قصيرة جدًا
٥٠ــ سرابيل ــ أمانى الشرقاوى ــ مصر ــ رواية



هذا الكتاب

خلال عشرين عامًا نشر القاص حسن الجوخ أربع مجموعات قصصية، كانت آخرها مجموعته القصصية (الطافش)، فهو مبدع يهمه الكيف قبل الكم، إلى جانب كتابه النقدى (أوراق ومسافات) الذي نشر فيه مجموعة من قراءاته ودراساته في القصة القصيرة المصرية المعاصرة، وقد فازت مجموعته القصصية الثالثة (زائر النهار) بجائزة نادى القصة عام 2007.

ومجموعته (الطافش) تضم ثلاث عشرة قصة، تتروح أطوالها ما بين ست صفحات وسبعة أسطر، تتناول معظمها بيئتنا الريفية، وتتأرجح حركتها ما بين العالمين الداخلى والخارجى لشخصياتها، وتصرفاتهم ما بين الخير والشر، بأسلوب بسيط سلس مُنساب، ولغة شفيفة موحية، وهذه المجموعة إضافة لإبداعات حسن الجوخ السابقة الذي كرّس قلمه للقصة القصيرة وأخلص لها.

يوسف الشاروني

